




٩٩٧



قطوفه فى أى صحيفه
بولنمدى

المجلد السابع



٩٩٧



مكرر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم انا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ونسألك الهداية الى الصراط المستقيم
وصلى الله على محمد خاصة وعلى انبيايه عامة ونعوذ بالله ان تدعونا
المحبة لتمام هذا الكتاب الى ان نصل الصدق بالكذب وندخل
الباطل في تضاعيف الحق ونتكثر بقول الزور او نلتمس تمويه ما فيه
باللفظ الحسن وستر قبحه بالتاليف الموثق او نستعين على ايضاح
الحق الا بالحق وعن الافصاح عن الحجة الا بالحجة او نستميل الى
دراسته واجتبائه ونستدعي الى تفضيله والاشادة بذكره بالاشعار
المولدة والاحاديث المصنوعة والاسانيد المدخولة وبما لا شاهد
عليه الا دعوى قائله ولا مصدق له الا من لا يوثق بمعرفته ونعوذ
به من فتنة القول وخطله ومن الاسهاب وتقحم اهله ومن الاعتماد
فيما بيننا وبين كثير من الناس من اهل هذا الزمان على حسن الظن والاتكال
فيها على العذر فان كثيرا ممن يتكلف قراة الكتب ومدارسة
اهل العلم يقفون من جميع الكتاب على الكلمة الضعيفة واللفظة
السخيفة وعلى موضع من التاليف قد عرض له شي من استكراه ونالته
بعض الاضطراب او كما يعرض في الكتب من سقطات الوهم وفلتات
الضجر ومن خطاء الناسخ وسوء تحفظ المعارض وعلى معنى لعله ان لو

تدبره بعقل غير مفسد ونظر غير مدخول وتصفحه وهو محترس
من عوارض الحسد ومن عادة التسرع ومن اخلاق من عسى ان يتسع في
القول بمقدار ضيق صدره ويرسل لسانه ارسال الجاهل بكنه ما يكون
منه ولو جعل بدل اشتغاله بقليل ما يرى من المذموم شغله بكثير ما يرى
من المحمود كان ذلك اشبه بالادب المرضي والخيم الصالح واشد
مشاكلة للحكمة وابعد من سلطان الطيش والعجلة واقرب الى
عادة السلف وسيرة الاولين واجدر ان يهب الله له السلامة في كتبه
والدفاع عن حججه يوم مناضلة خصومه ومقارعة اعدائه
وليس هذا الكتاب يرحمك الله في ايجاب الوعيد فيعترض عليه
المرجي وليس هو في تفضيل علي فينصب له العثماني ولا هو في تصويب
الحكمين فيتسخطه الخارجي ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضه
من يخالف التقدير ولا هو في تثبيت الاعراض فيخالفه صاحب
الاجسام ولا هو في تفضيل البصرة على الكوفة ومكة على المدينة
والشام على الجزيرة ولا هو في تفضيل العجم على العرب وعدنان
على قحطان وعمرو على واصل فيرد ذلك الهذلي على النظامي ولا
هو في تفضيل مالك على ابي حنيفة ولا في تفضيل امرى القيس على النابغة
وعامر بن الطفيل على عمرو بن معدي كرب وعباد بن حصين على
عبيد الله بن الحر ولا في تفضيل ابن سريج على الغريض ولا في تفضيل
سيبويه على الكسائي ولا في تفضيل الجعدي على القاقلاني ولا في

تفضيل حلم الاحنف على حلم معوية وتفضيل قتادة على الزهري فان
لكل صنف من هذه الاصناف شيعة ولكل رجل من هولاء الرجال
جندا وعددا يخاصمون عنهم وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير
وعلماؤهم قليل وانصاف علمائهم اقل ولا تنكر هذا حفظك
الله انا رايت رجلين بالبصرة على باب مويس بن عمران تنازعا في الجنب
النيروزي والرازقي فجرى بهما الغنن حتى تواثبا فقطع الكوفي
اصبع البصري وفقا البصري عين الكوفي ثم لم البث الا يسيرا حتى
رايتهما متصافيين متنادمين لم يتفاقا على ما يغضب مما يرضي فكيف
وهما كذلك على مقادير طبقات الغضب والرضا والله المستعان
وقد ترك هذا الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة
والتثبت عند الحاجة جانبا واضربوا عنه صفحا فليس الا لا او نعم
الا ان قولهم لا موصول منهم بالغضب وقول نعم موصول منهم بالرضا
وقد عزلت الحرية جانبا ومات ذكر الحلال والحرام ودفن ذكر
القبيح والحسن قال عمرو بن الحرث كنا نبغض
من الرجال الرياء والنفج ونحن اليوم نتمناهما وقد كتبنا من
كتاب الحيوان ستة اجزاء وهذا الجزء السابع وهو الذي ذكرنا فيه
الفيل بما حضرنا من القول في شانه وفي جملة اسبابه والله الموفق
وانما اعتمدنا في هذه الكتب على الاخبار عما في اجناس الحيوان
من الحجج الظاهرة والادلة المترادفة وعلى التنبيه على ما جللها

الله من البرهانات التي لا تعرف حقايقها الا بالفكرة وغشاها
من العلامات التي لا تنال منافعها الا بالعبرة وكيف فرق
فيها من الحكم العجيبة والاحساس الدقيقة والصنعة اللصيبة
وما الهمها من المعرفة وحشاها من الجبن والجراة وبصرها ما يقيمها
ويعيشها واشعرها من الفطنة لما يحاول منها عدوها ليكون
ذلك سببا للحذر ويكون حذرها سببا للحراسة وحراستها
سببا للسلامة حتى تجاوزت في ذلك مقدار حراسة المجرب
من الناس والخايف المطلوب من اهل الاستطاعة والروية
كالذي يروى من تحارس الغرانيق والكراكي واشكال
من ذلك كثير حتى صار الناس لا يضربون المثل الا بها ولا يذمون
ويمدحون الا بما يجدون في اصناف الوحش من الطير وغير ذلك
فقالوا احذر من عقعق واحذر من غراب واحذر من عصفور
واسمع من فرخ العقاب واسمع من قراد واسمع من فرس واجبن
من صفرد واسخى من لافظة واضنع من تنوط واصنع من
سرفة واصنع من الدبر واهدى من قطاة واهدى من حمام واهدى
من جمل وازهى من غراب وازهى من ذباب واجرا من الليث واكسب
من ذيب واخدع من ضب واروغ من ثعلب واعق من ضب
وابر من هرة واسرع من سمع واظلم من حية واظلم من ورل
واكذب من فاختة واصدق من قطاة واموق من رخمة

واحزم من فرخ العقاب ونبهنا تعالى وعزّ على هذه
المناسبة وعلى هذه المشاركة وامتحن ما عندنا بتقديمها
علينا في بعض الامور وتقديمنا عليها في اكثر الامور اراد
بذلك ان لا يخلينا من حجة ومن النظر الى عبرة والى ما يعود
عند الفكرة موعظة ولما كره لنا من السهو والاغفال ومن
البطالة والاهمال فجعلنا في كل احوالنا لا تفتح ابصارنا الا وهي واقعة
على ضرب من الادلة وعلى شكل من اشكال البرهانات وجعل ظاهرها
فيها من الايات داعية الى التفكير فيها وجعل ما استخزنها من اصناف
الاعاجيب تعرف بالتكشيف عنها فمنها ظاهر يدعو الى النعمة ويشير الى
ما فيه ومنها باطن يزيدك بالامور ثقة اذا اقتضيت الحقيقة لتعلم
انك مع فضيلة عقلك وتصرف استطاعتك اذا ظهر عجزك عن عمل ما هو
اعجز منك ان الذي فضلك عليه بالاستطاعة والمنطق هو الذي فضله
عليك بضروب اخر وانكما ميسران لما خلقتما له ومصرفان لما سخرتما
له وان الذي يعجز عن صنعة السرفة وعن تدبير العنكبوت في قلتهما
ومهانتهما وضعفهما وصغر جرمهما لا ينبغي ان يتكبر في الارض ويمشي
الخيلاء ويتهكم في القول ويتالى ولا يستثني وليعلم ان عقله منيحة
من ربه وان استطاعته عارية عنده وانه انما يستبقي النعمة باداء
الشكر والتعرض لسلبها باضاعة الشكر ثم حبب اليها طلب الذرء
والبقاء الذي يكون مجلبة للذرء وحبب اليها اولادها وبخلها ونسلها
حتى

حتى قالوا اكرم الابل اشدها حنينا واكرم الصفايا اشدها ولها
الى اولادها وزاوج بين اكثرها وكثر لبعضها من الطروقة
اذا لم يكن الزواج لها خلقة وجعل الف العرس لها عادة وقواها
على المشاقة لتتم النعمة وتعظم المنة والهمها المبالغة في التربية
وحسن التعهد وشدة التفقد وسوى في ذلك بين الجنس
الذي يلقم اولاده تلقيما وبين الذي يرضعها ارضاعا وبين الذي
يزقها زقا وبين ما يحضن وما لا يحضن ومنه ما اخرجه من ارحام
البيض وارحام البطون كاسية ومنها ما اخرجها كاسية كاسبة
فامتعها والذها وجعلها نعمة على عباده وامتحانا لشكرهم وزيادة
في معرفتهم وجلاء لما يتراكم من الجهل على قلوبهم
فليس لهذا الكتاب ضد من جميع من يشهد الشهادة ويصلي القبلة
وياكل الذبيحة ولا ضد من جميع الملحدين ممن يقر بالبعث وينحل
الشرايع وان الحد في ذلك وزاد ونقص الا الدهري فان الذي
ينفي الربوبية ويحيل الامر والنهي وينكر جواز الرسالة ويجعل
الطينة قديمة ويجحد الثواب والعقاب ولا يعرف الحلال والحرام
ولا يقر بان في جميع العالم برهانا يدل على صانع ومصنوع
وخالق ومخلوق ويجعل الفلك الذي لا يعرف نفسه من غيره
ولا يفصل بين قديم وحديث وبين المحسن والمسيء ولا يستطيع
الزيادة في حركته ولا النقصان من دورانه ولا معاقبة السلوك

ضد الدهري

للحركة، ولا الوقوف طرفة عين، ولا الانحراف عن الجهة
هو الذي يكون به جميع الابرام والنقض، ودقيق الامور
وجليلها، وهذه الحكم العجيبة، والتدابير المتقنة، والتاليف
البديع، والتركيب الحكيم على حساب معلوم، ونسق معروف على غاية من
دقايق الحكمة، واحكام الصنعة، ولا ينبغي لهذا الدهري
ان يعرض لكتابنا هذا، وان دل على خلاف مذهبه، ودعا
الى خلاف اعتقاده، لان الدهري ليس يرى ان في الارض دينا، او
نحلة او شريعة، ولا يرى للحلال حرمة، ولا يعرفه ولا الحرام نهاية
ولا يعرفه، ولا يتوقع العقاب على الاساة، ولا يترجى الثواب على
الاحسان، وانما الصواب عنده، والحق في حكمه انه والبهيمة
سيان، وانه والسبع سيان، ليس القبيح عنده الا ما خالف هواه، وليس
الحسن عنده الا ما وافق هواه، وان مدار الامر على الاخفاق
والدرك على اللذة والالم، وانما الصواب فيما نال من المنفعة وان قتل
الف انسان صالح لمنالة درهم ردي، فهذا الدهري لا يخاف
ان ترك الطعن على جميع الكتب عقابا، ولا لائمة، ولا عذابا
دايما ولا منقطعا، ولا يرجوا ان ذمها ونصب لها ثوابا في عاجل ولا
اجل، فالواجب ان يسلم هذا الكتاب على جميع البرية اذا كان
موضوعه على هذه الصفة، ومجراه الى هذه الغاية، والله الكافي
والموفق بلطفه وتاييده، انه سميع مجيب، فعال لما يريد،

دعا بكتابه

ثم رجع بنا القول الى الاخبار عن الحيوان، وباي شي تفاضلت
وباي شي خصت وبماذا ابينت، وقد عرفنا ما اعطيت في الشم والاسترواح
قال الراجز وذكر الذيب،

يستخبر الريح اذا لم يسمع، بمثل مقراع الصفا الموقع،

وقد عرفنا كيف شم السنانير والذياب، والسباع، واعجب من ذلك
وجدان الذرة لرايحة شي لو وضعته على انفك لما وجدت له رايحة
كرجل جرادة يابسة منبوذة، كيف تجد رايحتها من جوف جحرها
حتى تخرج اليها فاذا تكلفت حملها فاعجزتها كيف تستدعي اليها
سايرالذر، وتستعين بكل ما كان منها في الجحر، وكنحو شم
الفرس، رايحة الحجر من مسيرة ميل، والفرس يسير قدما، والحجر
خلفه بذلك المقدار من غير تلفت، ولا معاينة من جهة من
الجهات، وهذا كثير، وقد ذكرناه في غير هذا الموضع،
فاما السمع فدعنا من قولهم اسمع من فرس، واسمع من فرخ العقاب،
واسمع من كذا او اسمع من كذا، ولكنا نقصد الى الحقير في خطره
واسمه، والقليل في جسمه وقدره، وتقول العرب اسمع من قراد ويستدلون
بالقردان التي تكون حول الماء والبير، فاذا كان ليلة القرب
وقد بعث القوم من يصلح لابلهم الارشية واداة السقي وبات لها حال
عند الماء، تنتظر مجي الابل، فربما تعرف قربها منهم في جوف الليل
بانتعاش القردان، وسرعة حركتها وخشخشتها ومرورها

عجيبة في الشم
ادراك الحيوان

ادراك الحيوان
بالسمع

نحو الرعاء وزجر الرعاء ووقع الاخفاف على الارض من غير ان
تحس اوليك الرجال حِسًّا او يشعروا بشيء من امرها فاذا استدلوا
بذلك من القردان نهضوا فتلببوا واتزروا وتهيأوا للعمل
فاما ادراك البصر فقد قالوا ابصر من الغراب وابصر من الفرس
وابصر من الهدهد وابصر من عقاب والسنانير والفار والجرذان
والسباع تبصر بالليل كما تبصر بالنهار فاما الطعم
فنظن انها بفرط الشره وبفرط الاستمراء وبفرط الحرص والنهم ان
لذتها تكون على قدر شرهها وشهوتها وتكون على قدر ما ترى
من حركتها وظاهر حرصها ونحن قد نرى الحمار اذا عاين الاتان
والفرس والحجر والرمكة والبرذون والبغل والبغلة والتيس والعنز
فنظن ان اللذة على قدر الشهوة والشهوة على قدر الحركة وان
الصياح على قدر غلبة الارادة ونجد الرجال اذا اعتراهم ذلك
لا يكونون كذلك الا في الوقت الذي هم فيه اشد غلمة وافرط
شهوة فان قال قايل ان الانسان يغشى النساء
في كل حال من الفصلين والصميمين وانما هيج السباع والبهايم
في ايام من السنة ثم يسكن هيج التيس والجمل فالانسان المداوم
احسن حالا قلنا انا لم نكن في ذكر المخايرة بين نصيب
الانسان في ذلك مجموعا ومفرقا وبين نصيب كل جنس من هذه
الاجناس مجموعا ومفرقا وانما ذكرنا نفس المخالطه فقط وما

ادراك الحيوان الابصار

ادراك الطعم

سقط

في عظم اير الفيل في رهز فرس وطول عيس جمل اذا دحس
قال عمرو بن سعيد فرس الماء ياكل التمساح وقال تكون
في النيل خيول وفي تلك البحور يعني تلك الخلجان مثل خيول البر
وهي تاكل التماسيح اكلا شديدا وليس للتماسيح في وسط الماء سلطان
شديد الا على ما احتمله بذنبه من الشريعة قال وفرس
الماء يوذن بطلوع النيل باثر وطء حافره حيث وجد اهل مصر اثر ذلك
الرجل عرفوا ان ماء النيل سينتهي في طلوعه الى ذلك المكان
وهذا الفرس ربما رعى الزروع وليس يبداء اذا رعى في ادنى الزرع
اليه ولكنه يحزر منه قدر ما ياكل فيبداء باكله من اقصاه
فيرعى مقبلا الى النيل وربما شرب هذا الفرس من الماء بعد الرعي ثم قاءه
في المكان الذي رعا فيه فينبت ايضا فالطير عندنا ياكل التوت
فيذرقه فينبت من ذرقه شجر التوت قال واذا اصابوا من
هذه الخيل فلوا صغيرا ربوه مع صبيانهم ونسايهم في البيوت
ولم يزد على هذا الكلام شيا قال في سن من اسنانه
شفاء من وجع المعدة قال والنوبة وناس من الحبشة ياكلون
الحيتان نية بغير نار ويشربون الماء العكر فاذا علقوا سن هذا
الفرس افاقوا قال واغفاج هذا الفرس تبرى من
الجنون والصرع الذي يعتري مع الاهلة قال وكذلك لحوم بنات
عرس صالحة لمن به هذه العلة قال وانما يكون

في فرس البحر

الانسان من مصايد الذيب اذا القيه والارض مملوة ثلجا فانه عند
ذلك يخمش وجه الارض ويجمعه ويضرب به وجه الرجل فارسا
كان او راجلا • قال ودقاق الثلج وغباره اذا صك وجه
الفارس سدر واسترخى وتحير • واذا راى ما قد احل به فربما بعج
بطن الدابه وربما عضها فتنفض الفارس فتصرعه • ولا حراك به فياكله
كيف شاء • الان يكون الفارس مجربا ماضيا ماهرا فيشد عليه
عند ذلك بالسلاح • وهو في ذلك يسير وتقطع المفازه • ولا حم

وقالت جمره الازديه لزوجها ابي وايل •

لعمرك ما ان ابو وايل • … اذا ذكر القوم بالطايل •

فيا ليتني لم اكن عربيه • … وعوجلت بالحدث العاجل •

وقالت امراة من بني زياد الحارثي •

فلا تامروني بالتزوج انني • … اريد كرام الناس او اتبتل •

اريد فتى لا يملا الهول صدره • … يريح عليه حلمه حين يجهل •

كمثل الفتى الجعد الطويل اذا غدا • … كعالية الرمح الطويل او اطول •

وقالت امراة من باهله •

احب الفتى ينفي الفواحش سمعه • … كان به عن كل فاحشه وقرا •

سليم دواعي الصدر لا باسط اذى • … ولا مانع خيرا ولا قايل هجرا •

كمثل الفتى الذهلي تحسب وجهه • … اذا ما بدا في ظلمة طالعا بدرا •

وقال لبيد بن ربيعه •

و

انما يحفظ التقى الابرار • … والى الله يستقر القرار •

والى الله ترجعون وعند الله • … ورد الامور والاصدار •

ان يكن في الحياة خير فقد انظرت • … لو كان ينفع الانظار •

عشت دهرا فلن يدوم على الايام • … الا يرمرم ويعار •

وانشدني الاصمعي قال انشدني رجل ولم يسمه •

اذا ما بدا عمرو بدت منه صورة • … تدل على مكنونه حين يقبل •

بياض خراسان ولكنه فارس • … وجثه رومي وشعر مفلفل •

لقد الفت اعضاء عمرو عصابه • … يد اعليها اخر القوم اول •

وقالت اخت ذي الرمة ترثيه •

تعزيت عن اوفى بغيلان بعده • … عزاء وجفن العين ملان مترع •

ولم تنسني اوفى المصيبات بعده • … ولكن نكا القرح بالقرح اوجع •

وذو الرمة القايل اذا قلت كان فلم اجد مخرجا فقطع الله لساني وانشد •

لا اتقي حسك الضغاين بالرقى • … فعل الذليل ولو بقيت وحيدا •

لكن اعد لها ضغاين مثلها • … حتى اداوي بالحقود حقودا •

كالخمر خير دوايها منها بها • … تشفي السقيم وتبرئ المنجودا •

فاخذ الحكمي هذا فقال •

وكاس شربت على لذة • … واخرى تداويت منها بها •

وقال ابن هرمه •

ان اياديك عندي غير واحدة • … جلت عن الوصف والاحصاء والعدد •

وليس منها يد الا وانت بها • مستوجب الشكر منى آخر الابد •

وقال الآخر •

• ساشكر ما ابقاني الله خالدا • كشكري ولا ايدي على ثابت •

• حملت عليه مثقلا فاطاقه • وحملني من شكره فوق طاقتي •

ورأى رجل من النبيط الحجاج بعد موته في منامه فقال يا حجاج الى ما صيّرك ربك فقال وماذا عليك يا ابن الزانية فقال اما سلمنا من قولك ميتا ولا من فعلك حيا • رضيع منا منه •

وقال الاشهب رجل من اهل الكوفة يهجوا نوح بن دراج •

• ان القيامة فيما احسب اقتربت • اذ صار حاكما نوح بن دراج •

• لو كان حيا له الحجاج ما سلمت • صحيحة يده من نقش حجاج •

وكان الحجاج يشم ايدي النبط علامة يعرفون بها • وقال رجل من طي لرجل من فزاره وكان الرجل متوعده •

• فان كان هذا يا فزار تجلبا • لنخشي فما نرتاع للجلبات •

• أالآن لما ان علا الشيب مفرقي • وصابت بنوب العود مختلفات •

• فلو ان ساقي الريح تحمل كم قذي • لاعيننا ما كنتم بقذات •

• الست فزاريا تبين لؤمه • اذا قام بين الانف والسبلات •

• ترى الخيل تستحيي اذا ما ركبتم • عليها حياء البدن الخفرات •

وقال ابو عبيده ما ينبغي ان يكون في الدنيا مثل النظام سالته وهو صبي عن عيب الزجاج • فقال سريع الكسر بطيء الجبر •

ومدحوا النخلة عنده • فقال صعبة المرتقى بعيدة المهوى خشنة المس قليلة الظل • وذكر النظام الخليل بن احمد • فقال توحد به العجب فاهلكه • وصور له الاستبداد صواب رايه • فتعاطى ما لا يحسنه • ورام ما لا يناله • وفتنته دوايره التي لا يحتاج اليها غيره • وكان ابو اسحق اذا ذكر الوهم لم يشك في جنونه وفي اختلاط عقله • وهكذا كان الخليل • وان كان قد احسن في شيء • وكان النظام كثيرا ما ينشد •

• فلو كنت ارضى لا اباك بالذي • به الخامل الجثام في الخفض قانع •

• قصرت على ادنى الهموم واصبحت • على وعندي للرجال صنايع •

وقال المريسي لابي الهذيل بحضرة المامون بعد كلام جرى كيف ترى هذه السهام • قال لينة كالزبد حلوة كالشهد فكيف ترى سهامنا قال ما احسست بها قال لانها صادفت جمادا •

وانشد ابو الهذيل •

• فاذا توهم ان يراها ناظر • ترك التوهم وجهها مكلوما •

فقال هذه تنال بابر من خاطر • وانشدني ابو الهذيل بعد ان انشد هذا البيت •

• اسجد لقرد السوء في زمانه • ولا تسايل عن خبي شانه •

وقال آخر •

• كم من كريم ضعضع الدهر حاله • وكم من لئيم اصبح اليوم صاعدا •

وقد قال في الامثال في الناس واعظ بتجربه اهدى النصيحه جاهدا
اذا دولة للقرد جات قلن له وذلك من حسن المداراة ساجدا
بذا لك بداريه ويوشك بعدها تراه الى ثنيانه الرث عايدا

وانشدني الاصمعي في معنى قول الفرزدق به لابنطبي بالصهيه اعفرا لرجل من بني القين

اقول لصالح لما دهته بنات الدهر ويحك ما دهاكا
شجال العزل لا با اخي نوال من الفتيان كرنه ما شجاكا
اتيتك زايرا فرجعت صفوا كذاك تكون اوبه من اتاكا
احب لك السلامه يا ابن امي وان كنت امرا بخلت يداكا
حفاظا للعشيره لا بعرف فان العرف من به سواكا

وقال الفرزدق

الا خبروني ايها الناس انني سالت ومن يسال عن العلم يعلم
سوال امري لم يغفل العلم صدره وما العالم الواعي الاحاديث كالعمي

وقال ايضا

الم تعلموا يا آل طوعه انما تهيج جليلات الامور دقيقها
سائني على سعد بما قد علمته وخير احاديث الرجال صدوقها

ومما اكتب لك من الاخبار العجيبه التي لا يجري عليها الاكل وفاح اخبار بعض العلماء وبعض من يؤلف الكتب يقروها ويدارس اهل العبر وتحفظها زعموا ان الضبع تكون عاما ذكرا

وعاما انثى وسمعت هذا من جماعة منهم ممن لا استجيز تسميته
وقال الفضل بن اسحق انا رايت العفص والبلوط في غصن واحد
قال ومن العفص ما يكون مثل الاكر وقد خبرني بذلك غيره
وهذا لا يشبه تحول الانثى ذكرا والذكر انثى وقد ذكرت
العرب في اشعارها الضباع والذياب والسمع والعسبار وجميع الوحوش
والحشرات والاحناش وهم اخبر الخلق بشان الضبع فكيف تركت ذكر
ما هو عجب واطرف وقد ذكرت العلماء الضبع في مواضع من الفتيا
لم ترا احدا ذكر ذلك واوليك باعيانهم هم الذين زعموا ان النمر
الانثى تضع في مشيمة ولحن جروا وفي عنقه افعى قد تطوقت به
واذا لم يا تنا في تحقيق هذه الاخبار شعر شايع او خبر مستفيض
لم نلتفت لفته وقد اقردنا بان السقنقور ايرين وكذلك الجردون
والضب حين وجدناه ظاهرا على السنة الشعراء وحكاية الاطباء
والخرطوم للفيل وهو انفه ويقوم مقام يده ومقام عنقه والخرق (خرطوم الفيل)
الذي فيه لا ينفذ وانما هو وعاء اذا املاه الفيل من طعام او ماء اولجه
في فيه لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى وانما صار ولد البختي
من البختيه جزور الجسم لقصر عنقه ولعجزه عن تناول الماء والمرعى
وللبعوضة خرطوم وهي تشبه بالفيل الا ان خرطومه اجوف فاذا طعن (البعوض)
به في جلد الانسان والبهيمه فاستقى به الدم من جوفه قذفت به الى
جوفها فهو لها كالبلعوم والحلقوم وللذبابه خرطوم تخرجه اذا (الذباب)

ارادت الدم وتدخله إذا رويت فاما من سمى خطم الخنزير والكلب
خرطوما فانما ذلك على التشبيه وكذلك يقولون لكل طويل قصير
اللحيين وقد يقال للخطم خرطوم على قوله سنسمه على الخرطوم
وانشدنا ابن الاعرابي لفتى من بني عامر

ولا اقوم على المولى فاشتمه ولا امر على تلك الخراطيم

جعل سادة عشيرته في النادي والمجالس كالخراطيم والمقاديم
والهوادي وعلى ذلك قالوا بنو فلان انف بني فلان ورؤوسهم
وخراطيمهم ومعنى العامري الذي ذهب اليه في شعره كانه
اعظم المشيخة ان يمر بهم وقد قال الشاعر

هم الانف المقدم والسنام

والفيل والببر والطاوس والببغاء والدجاج السندي والكركدن
مما خص الله به الهند وقد عدد ذلك مطيع بن اياس الليثي الشاعر
حين خاطب جارية له كانت تسمى روقة

روق اني روق كيف منك اقول ساد سنادوني وارمابيل
وبعيد من بينه حيث ما كان وبين الحبيب قندابيل
روق اني روق لو ترين محلي ببلاد معروفها مجهول
ببلاد بها تبيض الطواويس وفيها يزاوج الزندبيل
وبها الببغاء والصقر العود له في ذرا الاراك مقيل
والخموع العرجاء والايل الاقرن والليث في الغياض النسول

وقال ابو الضلع السندي يفتخر بالهند وما اخرجت بلاد الهند

لقد يعزلني صحبي وما ذلك بالامثل
وفي مدحتي الهند وسهم الهند في المقتل
وفيه الساج والعاج وفيه الفيل والدغفل
وان التوتيا فيها كمثل الجبل الاطول
وفيها الدارصيني وفيها منبت الفلفل

والمتشابهة عندهم من الحيوان الفيل والخنزير والبعوضة والجاموس
وقال رؤبة بن العجاج

ليث يدق الاسد الهموسا والاقهبين الفيل والجاموسا

ولما هجا ابو الطروق الضبي امراته وكان اسمها شعفر بالقبح والشناعة
فقال

جاموسة وفيلة وخنزر وكلهن في الجمال شعفر

جعل الخنزير خنزرا فجمعها كما ترى للتشابه
وقال الاخر

كان الذي يبدو الناس من لثامها جحافل عير او مشافر فيل

والفيل يوصف بالفقم ولذلك قال الاعرابي

قد كاد في صحبي المعتم ولم اكن اخدع فيما اعلم
اذ صفق الباب العريض الاعظم وادني الفيل الناتر جموا
وقيل ان الفيل فيل مرجم خبعثن قدام منه المحرم

اجرد اعلى الجسم منه أضخم • يجرّ ارجاء ثقالا تحطم
ما تحتها من فوقها وتهشم • وحنك حين يمد افقم
ومشفر حين يمد سرطم • يرده في الجوف حين يطعم
لو كان عندي سبب او سلّم • نجيت نفسي جاهدا لا اظلم

وقال آخر

من يركب الفيل فهذا الفيل • ان الذي يركبه محمول
واذن كانها منديل

وقال عماره بن عقيل يضرب المثل بقوة الفيل

اذا اتانا امير لم نقل لهم هيدا • وجالت بنا منه الاحابيل
وعض مجهودنا الاقصى وحمله • من المظالم ما لا يحمل الفيل

وقال ابو دهبل يمدح ابا الفيل الاشعري

ان ابا الفيل لا تحصى فضايله • قد عم بالعرف كل العرب والعجم

ونظر ابن شهلة المديني الى خرطوم الفيل والى غرموله فقال

ولم ار خرطومين في جسم واحد • قد اعتدلا في مشرب ومبال

وقد غلط لان الفيل لا يشرب بخرطومه ولكن به يوصل الماء الى فيه فشبه غرموله بالخرطوم وغرموله يشبه بالجعبة والقنديل والرنج

وقال الخيرى في تعظيم شان الفيل

اتهزا مني ام عمره ان رات نهارا وليلا بلياني فاسرعا
فان اك لاقيت الدهار بينهما فقدا فنيا لقمان قبلي وتبعا

ولا يلبث الدهر المفرق بينه • عن الفيل حتى يستدير فيصرعا

وقال مروان بن محمد وهو ابو الشمقمق وحدثني صديق لي قال سالت ابا الشمقمق عن اسمه ونسبه فقال انا مروان بن محمد مولى مروان بن محمد

يا قوم انى رايت الفيل بعدكم • فبارك الله لي في رؤية الفيل
رايت بيتا له شيء يحركه • فكدت اصنع شيئا في السراويل

لعله عند رؤيته غرمول الفيل ١٢

وقالت دوده لامها

يا ام اني رايت الفيل من كثب • لا بارك الله لي في رؤية الفيل
لما بصرت باير الفيل اذهلني • عن الخير وعن تلك المواطيل

قال الاصمعي جنى قوم من اهل اليمامة جناية فارسل السلطان اليهم جندا من محاربة ابن زياد فقام رجل من اهل البادية يذمر اصحابه فقال يا معشر العرب ويا بني المحصنات قاتلوا عن احسابكم ونسايكم والله لين ظهر هولاء القوم عليكم لا يدعون بها لبنة حمراء ولا نخلة خضراء الا وضعوها بالارض ولا اغرنكم من نشاب في جعاب كانها ايور الفيلة ينزعون في قسي كانها العتل تيط احداهن اطيط الزرنوق يمغط احدهم فيها حتى يتفرق شعر ابطيه ثم يرسل نشابة كانها رشاء منقطع فما بين احدكم وبين ان تفضخ عينه او يصدع قلبه منزلة قال فخلع قلوبهم فطاروا رعبا

قالوا الفيلة ضربان فيل وزنديل وقد اختلفوا في اشعارهم

وَاخبارهم فبعضهم يقول هي كالبخت والعراب والجواميس والبقر
والبراذين والخيل والفار والجرذان والذر والنمل وبعضهم يقول
انما ذهبوا الى الذكر والانثى قال خالد القناص
في تلك المزاوجة والمخمسة التي ذكر فيها الصيد فاطنب فقال حين صار
الى ذكر الفيل

ذاك الذي مشفره طويل وهو من الافيال زندبيل

فذهب الى العظم وقال الذكواني

وفيله كالطود زندبيل

فجعل الزنديل هي الانثى وقال الاخر

من بين فيلات وزنديل

فجعل الزنديل هو الذكر وزعم ابو اليقظان سحيم
بن حفص ان الزنديل هي الانثى فلم يقفوا من ذا على شي فبعض
الناس يقسم الجن على قسمين فيقولون هم جن وحن ويجعل التي بالحاء
اضعفها واما الراجز فقال

ابيت اهوى في شياطين ترن مختلف نجراهم جن وحن

ففرق هذا كما ترى بين الجنسين وسمع بعض الجهال قول الحسن
٤ ذهب الناس وبقيت في النسناس فجعل النسناس جنسا على حده وسمع آخرون
هم اجهل من هولاء قول الكميت نسناسهم والنسانسا
فزعموا انهم ثلثة اجناس ناس ونسناس ونسانس هذا سوى القول في الشق

وواق واق وذوات الابى وفي العدار وفي اولاد السعالي من الناس
وفي غير ذلك مما قدمنا ذكرناه في موضعه من ذكر الجن والانس
وقد علم اهل العقل ان النسناس انما وقع على السفلة والاوغاد كما سموا
الغوغاء الجراد اذا القى البيض وسخف وخف وطاش
قال واذا اغتلم الفيل قتل الفيلة والفيالين وكل من لقيه من
ساير الناس ولم يقم له شي حتى لا يكون لسواسه هم الا الهرب
والاحتيال لانفسهم وتزعم الفرس ان فيلا من فيلة كسرى
اغتلم فاقبل نحو الناس فلم يقم له شي حتى دنا من مجلس كسرى
فانقشع عنه جنده واسلمته صنايعه وقصد الى كسرى فلم يبق معه الا
رجل واحد من فرسانه كان اخصهم به حالا وارفعهم مكانا فلما
راى قربه من الملك شد عليه بطبرزين كان في يده فضرب جبهته
به ضربة غاب لها جميع الحديد في جبهته فصدف عنه وارتدع وابى
كسرى ان يزول من مكانه فلما ايقن بالسلامة قال لذلك الرجل
ما انا بما وهب الله لي من الحياة على يديك باشد سرورا مني بالذي رايت
من هذا الجلد والوفاء والصبر في رجل من صنايعي وحين لم تخطي
فراستي ولم يزل رايي فهل رايت احدا قط اشد منك قال نعم
قال فحدثني عنه قال على ان تومنني فامنه فحدث عن بهرام
جوبين بحديث شق على الملك وكرهه اذ كان عدوه على تلك الصفة
قال واذا اغتلم الفيل وصعب وصال وخبط خلاه

الفيالون والرواض فربما عاد وحشيا والفيلة من الاجناس التي يكون
فيها الاهلي والوحشي كالسنانير والحمير والظباء وما اشبه ذلك
وانشدني الكرماني الشاعر المولتاني قوله
فكنت في طلبي من عنده فرجا كراكب الفيل وحشيا ومعتلما
وهذه القصيدة هي التي يقول فيها
قد كنت صغرت عن بعيور معتبرا حتى لقيت بها حلف الندى حلما
فربما كان ضياء الشمس سنته لو ناطق الشمس القت نحوه الكلما
وتقول الفرس اعطي كسرى برواز ثماني عشرة خصلة لم يعطها خواص كسرى
ملك قط ولا يعطاها احد ابدا من ذلك انه اجتمع له تسع مائة
وخمسون فيلا وهذا شي لم يجتمع عند ملك قط ومن ذلك انه
انزى الذكورة على الاناث وان فيلة منها وضعت عنده وهي لا تتلاقح
بالعراق فكانت اول فيلة وضعت بالعراق وآخر فيلة
قالوا ولقي رستم الاذري المسلمين يوم القادسية ومعه من الفيلة
عشرون ومائة فيل وكن من بقايا فيلة برواز قالوا ومن
خصاله ان الناس لم يروا احدا قط امد قامة ولا اتم الواحا ولا
ابرع جمالا منه فلما مات فرسه الشبداز كان لا يحمله الا فيل
من فيلته كان يجمع وطاء ظهر الفيل وثبات قوايمه ولين مشيه
وبعد خطوه وكان الطفها بدنا واعدلها جسما قال ولم يجتمع
لاحد من ملوك الاسلام من عدد الفيلة ما اجتمع عند امير المومنين

المنصور وكانت عنده اربعون فيلا فيها عشرون فحلا
قالوا والفيل اشرف مراكب الملوك واكثرهم تصرفا في ذلك
ولذلك سال وهبوز الاسوار عن صاحب الحبشة حين صافهم في الحرب
فقيل لهم هاهو ذاك على الفيل قال الا ادميه وهو على مركب الملوك
ثم سال عنه فقيل له قد نزل عنه وركب الفرس قال الا ادميه وهو على مركب
الحماة قالوا فانه قد ركب الحمار فدعا بعصابة فرفع بها حاجبيه وكان
قد اسن حتى سقط حاجباه على عينيه ثم رماه فقتله كان
سهل بن هرون يتعجب من نظر الفيل الى الانسان والى كل شي يمر به
وهو الذي يقول
اذا ما رايت الفيل ينظر قاصدا ظننت بان الفيل يلزمه الفرض
قال ابو عثمن وقد رايت انا في عين الفيل من صحة الفهم والتامل
اذا نظر ما شبهت نظره الى الانسان الا بنظر ملك عظيم الكبر راجح
الحلم واذا اردت ان ترى من الفيل ما يضحك وتراه في اسخف
حالاته واجهله فالق له جوزة فانه يريد ان ياخذها بطرف
خرطومه فاذا دنا منها تنفس فاذا تنفس طارت الجوزة من بين يديه
ثم يدنو ثانية لياخذها فيتنفس اخرى فيبعد عنه فلا يزال ذلك
دابه قالوا ويفضل الفيل الفرس في الحرب ان الفيل يحمي
الجماعة كلهم يقاتل ويرمي ويزج بالمزاريق وله من الهول
ما ليس للفرس وهو احسن مطاوعة ولا يعرف بجماح ولا طماح ولا

جران والخيول العتاق ربما قتلت الفرسان بالجران مرة وبالاقدام
مرة وبسوء الطاعة وشدة الجمح وربما شبت الفرس بفارسه حتى
يلقيه بين الحوافر والسيوف والسهم يصيبه والحجر يقع به وما يشبه
ظهر الفرس من ظهره وظهر الفيل منظرة من المناظر ومسلحة من المسالح
وفي الفيلة عجب آخر وذلك ان قصر الاعمار مقرونة بالابل
والبراذين وبكل خلق عظيم وبكل شي يعايش الناس في دورهم
وقراهم ومنازلهم فالناس اطول اعمارا منها كالجمل والفرس والبرذون
والبغل والحمار والثور والشاة والكلب والدجاج وكل صغير
وكبير الا الفيل فانه اطول عمرا والفيل اعظم من جميع الحيوان جسما
واكثرا كلا وهو يعيش مائة السنه ومايتي السنه
وزعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان انه قد ظهر فيل عاش اربع مايه
سنه فالفيل في هذا الوجه يشارك الضباب والحيات والنسور واذا
كان كذلك فهو فوق الورشان وعير العانة وهو من المعمرين
وفوق المعمرين وهو مع ذلك اعظم الحيوان بدنا واطولها عمرا
قال بعض من يتفقه وبحث التعلم ما بال الاسد اذا راى
الفيل علم انه طعام له واذا راى الببر والنمر لم يكونا عنده كذلك
وكيف وهو اعظم واضخم واشنع واهول فان كان الاسد
انما اجترا عليه لانه من لحم ودم واللحم طعامه والدم شرابه
فالببر والنمر من لحم ودم وهما اقل هولا واقما جسما

قال القوم ومتى قدر الاسد في الفيل انه اذا قاتله غلبه
واذا غلبه قتله واذا قتله اكله وقد نجد الببر فوق الاسد وهو
لا يعرض له والاسد فوق الكلب وهو يشتهي لحمه ويشتهي لحم الفهد
باكثر ما يشتهي لحم الضبع والذيب وليست علته المواثبة التي
ذهبتم اليها فاما علم جميع الحيوان بمواضع ما يعيشها فمن
علم البعوضة ان من وراء ظاهر جلد الجاموس دما وان ذلك الدم
غذاء لها وانها متى طعنت في ذلك الجلد الغليظ المتين الشديد
الصلب ان خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة ولو ان رجلا
منا طعن جلده بشوكة قبل ان تصل الى موضع الدم وهذا باب
يدرك بالحس والطبع وبالبنية والخرقة والذي سخر لخرطوم البعوضة
جلد الجاموس هو الذي سخر الصخرة لذنب الجرادة وهو الذي سخر
تقم النحاس لابرة العقرب قال بعض خصماء الهند
لو كانت الفيلة لا تتلاقح عندنا بالعراق لانها هندية لتغير الهواء
والارض فغير ذلك ارحامها واعقم اصلابها لكان ينبغي للطواويس
ان لا تتزاوج عندنا ولا تبيض ولا تفرخ ولا تتسافد ونحن قد نصيد
البلابل والدباسي والورشانين والفواخت والقماري والقبج
والدراج فلا تتسافد عندنا في البيوت وهي من الطيار بساتيننا
وضياعنا فلا تتلاقح اذا اصطدناها كرارزه بل لا تصوت ولا
تغني ولا تنوح وتبقى عندنا وحشية كمدة ما عاشت وان اخذناها

فراخًا زاوجت وعششت وباضت وفرخت فلعلكم ان تكونوا لو
اهديتم الينا اولادها صغارا فنشأت عندنا وذهبت عنها وحشية
الخلاء وحدث لها انس الاهلي فان الوحشة التي اكمدتها ونقضت
قوتها وافنت شهوتها وقد نجد الشفنين الذكر تهلك انثاه فلا يزاوج
غيرها ابدا في بلادها كان او في غير بلادها ونحن لو جئنا بالذئاب
والاسد والنمور والببور فاقامت عندنا الدهر الاطول لم تتلاقح
ولقد اصاب اعرابي جرو ذئب فرباه ورجا ان يألفه فيكون
خيرا له من الكلب فلما قوي شيئا وثب على حمل له فاكله

فقال الاعرابي

اكلت شويهتي وربيت فينا فما ادراك ان اباك ذئب

وقد تسافد عندنا حمير الوحش وقد تلاقحت عند بعض الملوك
وكان جعفر بن سليمن احضر على مائدته بالبصرة يوم زاره الرشيد
البان الظباء وزبدها وسلاها ولباها فاستطاب الرشيد جميع
ذلك وغمز جعفر بعض الغلمان فاطلق عن الظباء ومعها خشفانها
وعليها شملها حتى مرت في عرصة الدار تجاه عين الرشيد فلما راها
على تلك الحال وهي مقرطة مخضبة استخفه الفرح والتعجب حتى قال
ما هذه الالبان والسمنان واللبا والرايب والزبد الذي بين ايدينا
قال من حلب هذه الظباء الفت وهي خشفان فتلاقحت
وتلاقحت ولو اطلقوا الذئاب والاسد في مرج بالعراق

واقاموا لها حاجاتها لتسافدت وتلاقحت فلعلهم لو تقدموا في اصطناع
اولاد الفيلة واقتنائها صغارا ان تأنس حتى تتسافد وتتلاقح
وقد زعمتم ان كسرى ابرواز قد استنتج دغفلا واحدا
قال الهندي تكفينا هذه الحجة وهي بيننا وبينكم او ليس قد
جهد في ذلك جميع الملوك من جميع الامم في قديم الدهر فلم يستنتجوا
الا واحدا وعلى ان هذا الحديث من احاديث الفرس وهم اصحاب
نفج وتزيد ولا سيما في كل شيء مما يدخل في باب العصبية وتزيد في
اقدار الاكاسرة واذا كانوا كذلك فهم اظناء والمتهم لا شهادة له
ولكن هل رايتم هنديا قط اقر بذلك او هل اقرت بقايا ساير الامم
للفرس بهذا الامر قال بعض من يخالف على الهند
الفيل لا ينتفع بلحمه ولا بلبنه ولا بسمنه ولا بزبده ولا بشعره
ولا بوبره ولا بصوفه عظيم المؤونة في النفقة شديد التشزن
على الرواض وان اغتلم لم يف جميع منافعه في جميع دهره بمضرة
ساعة واحدة وهو مرتفع في الثمن وان اخطوا في تدبير مطعمه
ومشربه وتقليبه وتنقله هلك سريعا ولا يتصرف كتصرف الدواب
ولا يركب في الحوائج والاسواق وفي الجنائز والزيارات ولو ان
انسانا عاد مريضا واتبع جنازة على فيل لصار شهرة وترك البتة آية
وسئل ابن سيرين عن رجل راى فيما يرى النائم كانه على فيل قال
امر جسيم لا منفعة له وقالوا قال رجل للحجاج بن يوسف

رايت رجلاً في المنام من عمالك قدم فيلاً فضرب عنقه قال إن
صدقت رؤياك هلك داهر بن صصه • وسئل الشعبي عن
اكل لحم الفيل فقال ليس هو من بهيمة الانعام • وخرطومه
الذي هو سلاحه والذي به يبطش وبه يعيش من مقاتله •
وقال زهرة بن جوية يوم القادسية انما لهذه الدابة مقتل
قالوا الى خرطومه فشد عليهم حتى خالطهم ودنا من الفيل فحمل كل واحد
منهما على صاحبه فضرب خرطومه فبرك وادبر القوم •
قالوا والفيل افقم قصير العنق مقلوب اللسان مشوه الخلق فاحش
القبح ولم يفلح ذو اربع قط قصير العنق في طلب ولا هرب •
ولولا ان مسلوخ الثور يجول في اهابه ولولا سعة غببه لما اخطا
مع قصر عنقه • ولذلك قال الاعرابي ومن جعل الاوقص كالاعنق
والمطبق كالضابع • وقال الشاعر في غبب الثور
وهو اسحق بن حسان •

واغلب ضفاض جلد اللبان • يدافع غبغبه بالوظيف •

وليس يؤتى العير في حضره مع طول عنقه الا من ضيق جلده • والفيل
ضئيل الصوت • وذلك من اشد عيوبه • والفيل اذا بلغ في الغلمة
المبالغ اشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى ينضم ايطلاه وتتورم
راسه • وقد وصف الراجز الجمل الهائج فقال •

سام كان راسه فيه ورم • اذ ضم اطليه هياج وقطم • وآض بعد البدن ذا لحم زيم •

ولو لم يكن في الفيلة من العيب الا ان عدة ايام حملها لعمر بعض البهائم
لكان ذلك عيبا • ولقد ترك اهل المدينة غراس العجوة لما كانت
لا تطعم الا بعد اربعين سنة • قالوا وليس شيء يحمل من عدد
الارطال ما يحمل الفيل لان الذي يفضل فيما بين حمل الفيل وحمل البختي
اكثر من قدر ما يفضل من جسم الفيل على جسم البختي •
قالوا وقد قال الاعرابي الذي ادخل على كسرى ليعجب من جفائه وجهله
حين قال له اي شيء ابعد صوتا قال الجمل • قال فاي شيء اطيب لحما قال
الجمل • قال فاي شيء انهض بالحمل قال الجمل • قال كسرى كيف يكون الجمل ابعد
صوتا ونحن نسمع صوت الكركي من كذا وكذا ميلا • قال قال
الاعرابي ضع الكركي في مكان الجمل والجمل في مكان الكركي
حتى تعرف ايهما ابعد صوتا • قال كسرى وكيف يكون لحم الجمل اطيب من
البط والدجاج والفراخ والدراج والنواهض والجداء • قال الاعرابي
يطبخ ماء الدجاج بماء وملح ويطبخ لحم الجمل بماء وملح حتى يعرف فضل ما بين (لحم ظ)
اللحمين • قال كسرى كيف تزعم ان الجمل احمل للثقل والفيل يحمل كذا
وكذا رطلا • قال الاعرابي ليبرك الفيل ويبرك الجمل وليحمل على الفيل
حمل الجمل فان نهض به فهو احمل للاثقال • قال القوم ليس في
استطاعة الجمال النهوض بالاحمال ما يوجب لها فضيلة على حمل ما هو اثقل
ولعمري ان للجمل بلين ارساغه وطول عنقه لفضيلة في النهوض بعد
البروك • فاما نفس الثقل فالذي بينهما اكثر من ان يقع بينهما الخيار •

باب مدح الفيل

في ضبط الفيل

قالوا وبفارس شيوان تحمل حمل الجمل بأربعة ثم تنهض به • فهذا باب المدح • فأما باب الحمد فقد حدثنا عن شريك عن جابر الجعفي • قال رأيت الشعبي خارجا فقلت الى اين قال انظر الى الفيل • قال وسألت اباعبيده فقلت ما لون الفيل قال جون • ومن أعاجيب الفيل ان سوطه الذي به يحث ويصرف محجن حديد طرفه في جبهته وطرفه الآخر في يد راكبه فاذا اراد منه شيا غمز تلك الحديدة في لحمه على قدر ما اراد به لوجوه التصرف • وقد ذكر ذلك ابو قيس بن الاسلت في الجاهلية • وهذا الشعر حجة في صرف الله الفيل والطير الابابيل • وجند اليكسوم عن البيت الحرام • وسنذكر من ذلك طرفا إن شا الله • فقال ابو قيس

قصة اصحاب الفيل

ومن صنعه يوم فيل الحبوش • اذ كل ما بعثوه رزم •

محاجنهم تحت اقرابه • وقد كلموا انفه فانخرم •

وقد جعلوا سوطه مغولا • اذا يمموه قفاه كلم •

فادسل من فوقهم حاصبا • يلفهم مثل لف القزم •

وقال ايضا صيفي بن عامر وهو ابو قيس بن الاسلت • وهو رجل يمان من اهل يثرب • وليس بمكي • ولا تهامي • ولا قرشي • ولا حليف قرشي • وهو جاهلي • وهو معروف يعرفه الرواه

قوموا فصلوا ربكم وتعوذوا • باركان هذا البيت بين الاخاشب •

فعندكم منه بلاء ومصدق • غداة ابي يكسوم هادي الكتائب •

فلما

• فلما اجازوا بطن نعمان ردهم • جنود الاله بين ساف وحاصب •

• فولوا سراعا نادمين ولم يؤب • الى اهله ملحبش غير عصايب •

ويدل على صحة هذا الخبر قول طفيل الغنوي • وهو جاهلي • وهذه الاشعار صحيحة معروفة لا يرتاب بها احد من الرواة • وانما قال ذلك طفيل • لان غنيا كانت تنزل تهامة • فاخرجتها كنانه فيمن اخرجت فهو قوله

• ترعى مذانب وسمي اطاع له • بالجزع حيث عصى اصحابه الفيل •

وقال ابو الصلت واسمه ربيعة • وهو ابو امية بن ابي الصلت وهو ثقفي طايفي • وهو جاهلي • وثقيف يوميذ اضداد بالبلده وبالمال وبالحدايق والجنان • وهم اللات والعنعب • وبيت له سدنة يضاهون بذلك قريشا فقال مع اجتماع هذه الاسباب التي توجب الحسد والمنافسة

• ان آيات ربنا بينات • ما يماري بهن الا الكفور •

• حبس الفيل بالمغمس حتى • ظل يحبو كانه معقور •

• حوله من ملوك كندة فتيان • ملاويث في الحروب صقور •

• واضعا حلقة الجران كما قطر • صخر من كبكب محدور •

وقال بعضهم لابرهة الاشرم

• اين المفر والاله الطالب • والاشرم المغلوب غير الغالب •

وقال عبد المطلب يوم الفيل على حراء

• لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك •

لا يغلبن صليبهم جهلا وما جهوا محالك

ان كنت تاركهم وقبلتنا فامر ما بدا لك

وقال نفيل بن حبيب الخثعمي وهو جاهلي شهد الفيل وصنع الله في ذلك اليوم

الا ردي جمالك يا ردينا نعمناكم مع الاصباح عينا

فانك لو رايت ولن تريه لدى جنب المحصب ما راينا

اكل القوم يسال عن نفيل كان علي للحبشان دينا

حمدت الله اذ عاينت طيرا وخصب حجارة تلقى علينا

وقال المغيرة بن عبد الله المخزومي

انت حبست الفيل بالمغمس حبسته كانه مكردس

بمحبس تزهق فيه الانفس

وقال الله جل وتعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول وانزل هذه السورة وقريش يومئذ مجلبون في الرد على النبي صلى الله عليه وما شي احب اليهم من ان يروا له سقطة او عثرة او كذبة او بعض ما يتعلق به مثلهم فلولا انه كان اذكرهم امرا لا يتدافعونه ولا يستطيع العدو انكاره للذي يرى من اطباق الجميع عليه لوجدوا اكبر المقال وهذا باب يكثر الكلام فيه وقد اتينا عليه في كتاب الحجة وقال الم تر كيف فعل ربك بعاد مثل قوله الم تر

بلغ

الى ربك كيف مد الظل وقال كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون وهذا كله ليس من رؤية العين وباب اخر من هذا وهو قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ويقول الرجل رايت الرجل قال كذا وكذا او سمعت الله يقول كذا وكذا وفلان يرى السيف وفلان يرى راي ابي حنيفة وقد رايت عقله حسنا وقال ابن مقبل

سل الدار من جنبي حبر فواهب بحيث يرى هضب القليب المضيح

اذا قابل الجبل الجبل فهو يراه اذا قام منه مقام الناظر الذي ينظر اليه وتقول العرب دار فلان ينظر الى دار فلان ودور فلان تتناظر وقال النبي صلى الله عليه انا بري من كل مسلم مع مشرك قيل ولم يا رسول الله قال لا تراءى ناراهما ويقولون اذا استقمت تلقاء وجهك فنظر اليك الجبل فخذ عن يمينك وقال الكميت

وفي ضبن حقف يرى حقفه خطاف في سرحه والاجدل

وخرجت يوم عيد فلما صرت بعيسى اباذ اذا انا بتل مجلل بقطوع ومقطعات واذا رجال جلوس عليهم اسلحتهم فسالت بعض من يشهد العيد فقلت له ما بال هذه المسلحة في هذا المكان وقد احاط الناس بذلك التل فقال لي هذا الفيل فقصدت نحوه وما لي همة الا النظر الى اذنيه فرجعت عنه بعد طول تامل وانا اتوهم عامة اعضائه بل جميع اعضائه الا اذنيه وما كانت لي في ذلك علة الا شغل قلبي بكل شي هجمت عليه منه وكله

كان شاغلاً لي عن أذنه التي اليها كان قصدي فذاكرت ذلك سهل
بن هرون فذكر انه ابتلي بمثلها وانشدني في ذلك
بيتين من شعره وهما قوله

أتيت الفيل محتسباً بقصدي لأبصر أذنه ويطول فكري
فلم أر أذنه ورأيت خلقاً يقرب بين نسياني وذكري

قال وقال رجل مرة اللهم أخز الفيل فما أقبحه فقال له بكر بن
عبد الله المزني لا تشتم شيئاً جعله الله آية في الجاهلية وإرهاصاً للنبوة
وقال سعدان الأعمى النحوي قلت للأصمعي أي شيء رأيته أعجب
قال الفيل وقيل لابن الجهم أي أمور الدنيا أعجب قال الروح
وقيل لابي عقيل بن درست أي أمور الدنيا أعجب قال النوم واليقظة
وقيل لابي شمر أي أمور الدنيا أعجب قال النسيان والذكر
وقيل لسلم الخلال أي أمور الدنيا أعجب قال النار وقيل
لبطلميوس أي أمور الدنيا أعجب قال بدن الفلك وقال مرة الضياء
وقيل لابي علي عمرو بن فايد الاسواري أي شيء ما رأيت أعجب قال الارزاق
والآجال وكان ابرهيم بن سيار شديد التعجب من الفيل
وكان معبد بن عمر يقول ان السرطان والنعامة أكثر عجايب من الفيل
ولهذا كله تفسير ابو عقيل السواق عن مقاتل بن سليمن
قال قال موسى للخضر أي الدواب أبغض اليك وأيها أحب اليك قال أحب
الفرس والحمار والبعير لأنها من مراكب الأنبياء وأبغض الفيل والجاموس

إرهاص النبوة

عجايب الدنيا

والثور فأما البعير فمركب هود وصالح وشعيب والنبي صلى الله عليهم
وأما الفرس فمركب أولي العزم من الرسل وكل من أمره الله بحمل السلاح
وقتال الكفار وأما الحمار فمركب عيسى بن مريم وعزير وبلعوم
وكيف لا أحب شيئاً أحياه الله بعد موته قبل الحشر
قال ولما نظر الفضل بن عيسى الرقاشي الى سلم بن قتيبة على حمار
يريد المسجد قال قعدة نبي وبذلة جبار وأبغض الفيل
لأنه أبو الخنزير وأبغض الجاموس لأنه يشبه الفيل وأبغض الثور لأنه
يشبه الجاموس وأنشدني في هذا المعنى جعفر بن أخت واصل
في منزل الفضل بن عاصم الباخرزي

ما أبغض الخضر فيلاً مذ كان ولا أحب عيراً وذا لم غاية الكذب
وكيف يبغض شيئاً فيه معتبر وكان في الفلك فراجاً من الكرب
والفيل أقبل شيء لو تلقنه حاجات نفسك من جد ومن لعب
ولو تتوج منا واحد فرأى زي الملوك لقد أوفى على الركب
يغضي ويركع تعظيماً لبهجته وليس يعدله النشوان في الطرب
وليس يخذل الآكل ذي فخرج ومنبته من خالص الذهب
مثل الزنوج فإن الله فضلهم بالجود والتطويل في الخطب

قال أنشدنيها يونس لابن رباح الشاذزنجي فمدح الفيل كما ترى
بالطرب والحكاية وأنه قد أدب وعلم السجود للملوك وزعموا
أن أول شيء يؤدبونه به السجود للملك قالوا خرج كسرى أبرواز

قصة سجدة الفيل

ذات يوم لبعض الاعياد وقد صفوا له الف فيل وقد احدقت به وبها
ثلثون الف فارس فلما بصرت به الفيلة سجدت له فما رفعت رؤوسها حتى
جذبت بالمحاجن وراطنها الفيالون وقد شهد ذلك المشهد جميع اصناف
الدواب الخيل فما دونها ليس فيها شي يفصل بين الملوك والرعية ولا بين
فضل الفرس ونقص ابن آوى فلما راى ذلك كسرى قال ليت ان الفيل
كان فارسيا ولم يكن هنديا انظروا اليها والى سائر الدواب
وفضلوها بقدر ما ترون من فهمها وادبها وامّا ذكره
الزنج بطول الخطب فكذاك هم في بلادهم وعند نوابهم ولكن
معانيهم لا ترتفع عن اقدار الدواب الا بما لا يذكر وانشدوا في
تعظيم شان الفيل وصحة نظره وجودة تحديقه وتاتله وسكون
طرفه والشعر لبعض المتكلمين

اذا ما رايت الفيل ينظر قاصدا • ظننت بان الفيل يلزمه الفرض •

وقد قيل ان الشعر لسهل بن هرون • وقال عبد الاعلى
القاص يقال في المثل ان النسر قال للضبعين اى انسانا في الارض •
اني قد رايت عجبا قال وما هو قال رايت خلقا يمشي على رجليه ويتناول
الطعام بيديه فيهوي به الى فيه قال ان كان ما تقول حقا فانه سيخرجني
من قعر الجحر وينزلك من وكرك من راس الجبل • والفيل اعجب منه
لانه يده انفه وايدي البهايم والسباع على حال عاملة شيا والقرد
ياكل بيده وينقي الجوز ويتفلى ويفلي انثاه وليس شي يكرع بانفه

ويوصل الطعام الى فيه بانفه غير الفيل • والدب الانثى تقيم
اولادها تحت شجرة الجوز ثم تصعد الشجرة فتجمع الجوز في كفيها ثم
تضرب اليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمي به الى اولادها فلا تزال
كذلك حتى اذا شبعن نزلت • وربما قطع من الشجر الغصن
العبل الضخم الذي لا يقطعه صاحب الفاس الا بالجهد الشديد ثم يشد به على
الفارس وايضا عليه في موضع مقبض العصا فلا تصيب شيا الا هتكته •
قال صاحب المنطق ليس شي من ذوات الاربع الا وتصرف
يديه في الجهات اقل من تصرف يدي الفيل • قال ابو عثمن يوصف
جلد الفيل وجلد الجاموس بالقوة • وقال جميل •

• اذا ما علت نشزا تمد زمامها • كما امتد نهي الاصلف المترقرق •
• وما يبتغي مني العداة تفاقروا • ومن جلد جاموس بستين مطرق •
• وابيض من ماء الحديد اصطفيته • له بعد اخلاص الضريبة رونق •

وقال كعب بن زهير في اعتذاره الى النبي صلى الله عليه وسلم •

• اني اقوم مقاما لو يقوم به • ارى واسمع ما لا يسمع الفيل •
• لظل يرعد الا ان يكون له • من الرسول باذن الله تنويل •

وذكر امية بن ابي الصلت سفينة نوح فقال •

• تصخ الطير والبرية فيها • مع قوى السباع والافيال •
• حين فيها من كل ما عاش زوج • بين ظهري غوارب الجبال •

وقال امية •

خلق النحر معصرات تراها تعصف اليابسات والمحصورا

والتماسيح والتنابل والأيل شتى والريم والعفورا

وصوارا مع النواشط عينا ونعاما وخواضبا وحميرا

واسودا عواديا وفيولا وسباعا والنمر والخنزيرا

تزعم الهند ان جبهة الفيل تعرق في بعض الزمان عرقا غليظا غير سائل يكون اطيب من رائحة المسك وهذا شيء يعتريه في كل عام وموضع ذلك الينبوع في جبهته والناس يجدون ريح المسك في بيوتهم في بعض الاحايين وهي ريح فارة يقال لها فارة المسك والذي يكون في ناحية خراسان الذي يقال له فار المسك ليس بالفار وهو بالخشف حين تضعه الظبية اشبه وتقول العرب في فارة الابل صادرة إن ارج ذلك العرق اطيب من المسك الاذفر في ذلك الزمان وفي ذلك الوقت من الليل والنهار وقال الراعي

لها فارة ذفراء كل عشية كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

قال الاصمعي قلت لابي مهدية او قيل لابي مهدية كيف تقول لا طيب الا المسك قال فاين انت عن البان قال فقيل له فقل لا طيب الا المسك والبان قال فاين انت عن ادهان بحجر قالوا له فقل لا طيب الا المسك والبان وادهان بحجر قال فاين انتم عن فارة الابل صادرة

وربما وجد الناس في بيوتهم الجرذ يضرب الى السواد يجدون من بدنه اذا عدا الى جحره رائحة تشبه رائحة المسك وبعض الناس يزعم ان هذا

الجنس هو الذي يخبأ الدراهم والدنانير والحلي كما يصنع العقعق هو الذي والغراب وهذا الجرذ غير فارة المسك التي تكون بخراسان وتلك بالخشف الصغير اشبه وانما ياخذون سرته وهي ملأى من دم عبيط قالوا وقد جعل الله شان الفيل من اعظم الآيات واكبر البرهانات للبيت الحرام وقبلة الاسلام وتاسيسا لنبوة النبي صلى الله عليه وتعظيما لشانه لما اجرى من ذلك على يدي جده عبد المطلب حين غزت الحبشة لهدم البيت واذلال العرب فلم يذكر الله منهم ملكا ولا سوقة باسم ولا نسب ولا لقب وذكر الفيل باسمه المعروف واضاف السورة التي ذكر فيها الفيل الى الفيل وجعل فيه من الآية انهم كانوا اذا قصدوا به نحو البيت تعصى وبرك واذا خلوه وسومه صد عنه وصدف وفي اضعاف ذلك التقم اذنه نفيل بن حبيب وقال ابرك محمود وكان ذلك اسمه وقد طعن في ذلك ناس فقالوا قد يستقيم ان ينصرف عنه ويحرن دونه كل ذلك بتعريف الله له كيف يجوز ان يفهم كلام العرب ويعرف معنى قول نفيل فان قلتم قد يفهم الفيل عن الفيال جميع الادب والتقويم وجميع ما يريد منه عند الحط والرحيل والمقام والمسير قلنا قد يفهم بالهندية كما يعرف الكلب اسمه ويعرف قولهم اخسأ وقد يعرف السنور اسمه ويعرف الدعاء والزجر وكذلك الطفل والمجنون وكذلك الحمار والفرس اذا كن قد عودن تلك الاشارة

وسماع تلك الالفاظ فاما الفيل وهو هندي جلبه الى تلك
البلدة حبشي فخرج من عجمته الى عجمة كيف يفهم مع ذلك
لسان العرب وبرار نفيل بن حبيب له بالعربية قلنا قد يستقيم
ان يكون قال له كلاما بالهندية كان قد تعود سماعه
من الفيالين فيكون ترجمته بالعربية هذا الكلام الذي حكوه
وقد يقدر الذي انطق الذئب لاهبان بن اوس وجعل عود المنبر
يحن الى النبي صلى الله عليه ان يصور لوهم الفيل وذكائه وحكايته ومواتاته
ان يعرف ذلك واكثر منه بطول مقامه في ارض الحبشة وباليمن وليس
ببعيد ان يكون بالحبشة جماعة كثيرة من العرب من وافد وبايع
وتاجر وغير ذلك من الاصناف فيسمع ذلك الفيل منهم فيعرفه وليس هذا
المقدار بمستنكر من الفيل مع الذي قد اجمعوا عليه من فهم الفيل
وكان منكه المتطبب الهندي صحيح الاسلام وكان اسلامه بعد
المناظرة والاستقصاء والتثبت قالوا فسمع مرة من رجل وهو يقرأ
افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وسمع بعض الجهال يقول فكيف
لو رأى الفيل فعذله قوم فقال منكه لا تعذلوه فانه بلا شك
ان خلق الفيل اعجب فقيل له فكيف لم يضرب الله به المثل دون
البعير قال ابو اسحق ابرهيم بن سيار فقلت له ليس
الفيل باعجب من البعير واجعله اعجب من البعير وهو انما خاطب العرب
وهم الحجة على جميع اهل اللغات ثم تصير تلك المخاطبة لجميع الامم

ذكر منكه الهندي

بعد الترجمة على السنة هؤلاء العرب الذين بهم بدأت المخاطبة كيف
يجوز ان يعجب جماعات الامم من شيء لم يروه قط ولا كان على ظهرها
يوم نزلت هذه السورة رجل واحد كان قد شهد الفيل والحبشة
وعاين الفيل وأتى مكة وما بها احد الا عبد المطلب في نفير من
بقية الناس ولا كانوا حيث يتاملون الفيل وقد قال ناس
كان الناس رجلين رجل قد سمع بهذا الخبر من رجالات قريش
الذين يجترون الى انفسهم بذلك التعظيم كما كانت السدنة تكذب
للاوثان والاصنام والانصاب لتجتر بذلك المنافع ورجل لم يكن
عنده علم بان هذا الخبر باطل فلم يتقدم على انكار ذلك الخبر
وجميع قريش تثبته قيل لهم ان مكة لم تزل دار خزاعة وبقايا
جرهم وبقايا الامم البائدة وكانت كنانة منها النساة وكانت
مر بن اد من رهط صوفة والربيط منها اصحاب المزدلفة واليهم
كانت السدانة وكانت عدوان وابو سيارة وعميلة بن اعزل
تدفع بالناس وقد كان بين خزاعة وبقايا جرهم ما كان حتى
انتزعوا البيت منهم وقد كان بين ثقيف وقريش لقرب
الدار والمصاهرة والتشابه في الثروة والمشاكلة في المجاورة تحاسد
وتنافر وقد كان هناك فيهم الموالي والحلفاء والقطان النازلة
ومن يحج في كل عام وكان البيت مزورا على وجه الدهر
يأتيه رجالا وركبانا وعلى كل ضامر ومن كل فج عميق وبشق

ذكر القبائل من العرب

الا نفس وكما قال الله فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وكانوا
بقرب سوق عكاظ وذى المجاز وهما سوقان معروفتان ما زالتا
قايمتين حتى جاء الاسلام فلا يجوز ان يكون السالب والمسلوب
والمفتخر به والمفتخر عليه والحاسد والمحسود والمتدين به
والمنكر له مع اختلاف الطبايع وكثرة العلل يجمعون كلهم على
قبول هذه الاية وتصديق هذه السورة وكلهم مطبق على عداوة
النبى صلى الله عليه والكفر به والمحلون من العرب
ممن كان لا يرى للحرم وللشهر الحرام حرمة طيى كلها وخثعم
كلها وكثير من احياء قضاعة وشطر الحرث بن كعب وهولا كلهم
اعداء فى الدين والنسب هذا مع ما كان فى العرب من النصارى
الذين يخالفون دين مشركى العرب كل الخلاف كتغلب وشيبان
وعبد القيس وقضاعة وغسان والسليح والعباد وتنوخ وعاملة ولخم
وجذام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خلطاء واعداء يغاورون
ويسبون ويسبى منهم وفيهم الثؤور والاوتار والطوايل وهى
العرب والسنتها الحداد واشعارها التى انما هى ميسم وهممها البعيدة
وطلبها بالطوايل وذمها لكل دقيق وجليل فى الاشعار والارجاز
والاسجاع والمزدوج والمنثور فهل سمعنا باحد من جميع هولاء
الذين ذكرنا انكار شان الفيل او عرض فيه بحرف واحد
ورزين العروضى وهو ابو زهير لم ار قط اطيب منه قال فى شعر

له يحوا بعض ولد عقبة بن جعفر فكان فى احتجاجه عليهم وتقريعه
لهم ان قال

تهتم علينا بان الذيب كلمكم ... فقد لعمرى ابوكم كلم الذيبا
فكيف لو كلم الليث الهصور اذا ... تركتم الناس ماكولا ومشروبا
هذا السيندى لا اصل ولا طرف ... يكلم الفيل تصعيدا وتصويبا

ولو كان ولد اهبان بن اوس ادعوا ان اباهم كلم الذيب وانه
ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وانه صدقه والفيل ليس
يكلم السندى هو المكلم له والفيل هو الفهم عنه فذهب
رزين العروضى من الغلط فى كل مذهب والناس قد يكلمون
الطير والبهايم والكلاب والسنانير والمراكب جميع ما تحت ايديهم
من اصناف الحيوان التى قد خولوها وسخرت لهم وربما رايت القراد
يكلم القرد بكل ضرب من الكلام ويطيعه القرد فى جميع ذلك
وكذلك ربما رايته يلقن الببغاء ضروبا من الكلام
والببغاء تحكيه وان فى غراب البين لعجبا وكذلك كلا منهم
للذيب والكلب والشاة المكية وهذه الاصناف تلقن وتحكى وقد روى
الناس عن النبى صلى الله عليه فى كلام الابل والسباع ضروبا ولم يذهبوا الى انها
نطقت بحروف مقطعة ولكن النبى صلى الله عليه اما ان يكون الله اوحى
اليه بحاجاتها واما ان يكون فراسته وحسه وتبينه فى الامور مع ما
يمحضه الله من التوفيق يتبين له معانيها وجلاها له اذا استدل بظاهر على باطن

وبهيئة وحركة على موضع الحاجة • وأما أن يكون الله ألهمه ذلك
إلهاما • فأما جهة سليمن بن داود في المعرفة بمنطق الطير ومنطق
كل شيء • فلا ينبغي أن يكون ذلك الأعلى أن يقوم منها في الفهم عنها
مقام بعضها من بعض • إذ كان الله قد خصه بهذا الاسم وآتاه بهذه الآلة •
وأعلام الرسل لا يكثر عددها ولا تعظم اقدارها على اقدار فضائل الأنبياء •
لأن أكثر الأنبياء فوق سليمن • وأدنى ذلك أن داود فوقه • لأن الحكم
في الوارث والموروث والخليفة • والذي استخلفه أن يكون المورث أعلى
والمستخلف أرفع • كذلك ظاهر هذا الحكم يخص ذلك برهان
حادث • وإنما تكثر العلامات وتعظم على قدر طبائع أهل
الزمان • وعلى قدر الأسباب التي تتفق وتتهيأ لقوم دون قوم • وهم
أن يكونوا جبابرة عتاة • أو أغبياء منقوصين • أو علماء معاندين •
أو فلاسفة محتالين • أو قوما قد شملتهم من العادات السيئة • وتراكم على
قلوبهم من الألف للأمور الرديئة • مع طول اللبث في ذلك في قلوبهم • أو تكون
نحلتهم وملتهم ودعوتهم تحتمل من الأشغاب والاحتيالات والتمويه
والتغليط • أكثر مما يحتمل غيرها من ذلك • فإن من الكفر ما يكون
عند المسألة والجواب أسرع انتشارا وأظهر انتقاضا • ومنه ما يكون
أمتن شيئا • وإن كان مصير الجميع إلى الفساد • وإلى الانتقاض • فمنه شيء
يحتاج من المعالجة إلى الكثر والطول • وإنما تتفاضل العلماء عند هذه الحال •
وقد يكون أن تتقدم في قلوب الناس عداوات • وأضغان سببها التحاسد

حكمة العداوة

الذي

الذي يقع بين الجيران • والمتفقين في الصناعة • وربما كانت العداوة
من جهة العصبية • فإن عامة من ارتاب بالإسلام • إنما كان أول ذلك رأي
الشعوبية • والتمادي فيه • وطول الجدال المؤدي إلى القتال • فإذا أبغض شيئا
أبغض أهله • وإذا أبغض تلك اللغة • أبغض تلك الجزيرة • وإذا أبغض تلك الجزيرة
أحب من أبغض أهل تلك الجزيرة • فلا تزال الحالات تنتقل به • حتى ينسلخ من
الإسلام • إذ كانت العرب هي التي جاءت به • وكانوا السلف والقدوة • وتزعم
الهند أن شدة غلمة الفيل • وطول أيامه فيها • وهجرانه الطعام والشراب •
وبقية تلك الطبيعة • وعمل ذلك العرق الساري هو الذي يمنع الفيل أن يصير في مثل
جسمه • من أمتن أسباب الهزال • وإذا تقادم ذلك في بدن • وعتقت عمل في العظم
والعصب بعد الشحم واللحم • وإذا كان رفع الصوت والصياح وكثرة الكلام والغضب
والحدة • إنما صار يورث الهزال • لأن البدن يسخن عن ذلك • وإذا اشتعلت فيه
الحرارة أحرقت • وأكلت وشهبت • ولذلك صار الخصي من الذكور والأنعام أسمن •
وزعموا أنه ليس فيما يعايش الناس من أصناف الحيوان شيء أقصر عمرا من العصفور •
ولا أطول عمرا من البغل • وللأمور أسباب • فليس يقع الظن الأعلى قلة سفاد
البغل • وكثرة سفاد العصفور • قالوا ونجد العمر الطويل أمرا خاصا في
الرهبان • فنظن أيضا أن تركها الجماع من أسباب ذلك • قالوا وإذا اغتلم
الذكر من الحيوان • فهو أخبث ما يكون لحما • وإذا أكثر سفاده تضاعف فيه ذلك
الشر • وصار لحمه أيبس ودمه أقل • قال الشاعر •

• أحب أن أصطاد ضبا سحبلا • أو ورلا يرعى ربيعا أرملا •

حكمة كون الخصي
أسمن

فجعل أرمل لا زوجة له ليكون أسمن له لأن كثرة السفاد مما يورثه الهزال
ولا يكثر سفاده إلا من شدة غلمته وهجا أعرابي صاحبه حين أكل لحم تيس
غث فقال

أكلته من غرث ومن قرم ... كالورل السافد يعني بالنسم

لأن لحم الورل لا يشبه لحم الضب وهم لا يرغبون في أكله لأنه عصل مسيخ ولأنهم كثيرا ما يجدون في جوفه الحيات والأفاعي وله ذنب سمين وذلك عام في الأذناب وإن رأيتها في العين كأنها عصي فإذا كان لحمها كذلك ثم كان في زمن هيجه وسفاده كان شرا له وللورل في السفاد ما يجوز به حال الجمل والخنزير قال والنسم هو النسيم في هذا المكان قالت أم فروة

نفى نسم الريح القذى عن متونه ... فما إن به عيب تراه لشارب

وأنا أعلم أني لو فسرت لك معاني هذه الأشعار وغريبها كان أتم للكتاب إذا طال وقال الشاعر يهجو الذي قراه لحم كلب

فجاء بخرشاوي شعير عليهما ... كراديس من أوصال أعقد سافد

فلم يرض أن جعله كلبا حتى جعله سافدا فأما ابن الأعرابي فزعم أنه إنما عنى تيسا وقد أبطل وعلى أن المعنى فيهما سواء قالوا وإنما صار الخصي من كل جنس أسمن لأنه لا يسفد ولا يهيج قالوا والقنفذ إنما ينفع آكله إذا اصطادوه في أيام هيجه وسفاده لأن العاجز عن النساء يتعالج بأكل لحمه فصار لحم الهائج أهيج له أقبل أبو نواس ومعه

الحرامي الكاتب وكان أطيب الخلق وقد كانا قبيل ذلك قد نظرا إلى الفيلة فأبصرا غرمول فيل منها وعلم الحرامي أن غرمول الفيل يوصف بالجعبة فوصف لنا غرموله وأنشدنا فيه شعر النقيب فقال

كأنه لما دنا للعسد ... جعبة ترك علاها لبد

قلنا له أذنبت واجتلبت ذكر اللبد عن غير حاجة قال فإني قد قلت غير هذا قلنا أنشدناه فقال

كأنه لما دنا للشد ... شمعة قير لففت في لبد

قلنا له فلا نرى لك بدا من اللبد على حال قال أبو نواس فإني أقول عنك بيتين قال فهاتهما فقال

كأنه لما دنا للوثبة ... أيور أعيار جمعن ضربة

قال الحرامي لأبي نواس هنيتهما بأن لا تدعيهما فعسى أن أنتحلهما قلت له وما ترجو من هذا الضرب من الأشعار قال قد رأيت غرموله فاعذرني عند الفيل إن لم أقل فيه شيئا حدثني صديق لي قال رأيت الفيالين على ظهر فيل من هذه الفيلة وأقبل صبي يريد السندي الراكب فكلم الفيل بالهندية فوقف ثم كلمه فمد يده رافعها في الهواء حتى ركبها الغلام ثم رفع يده حتى تناول السندي يده فأخذ بيد الصبي وللبقر والجواميس أربعة أخلاف في مؤخر بطونها وللشاة خلفان وللناقة أربعة في مؤخر البطن وللمرأة والرجل والفيل ثديان في الصدر وثدي الفيل يصغر جدا إذا قرنته إلى بدنه وللسنور ثمانية أطباء وكذلك الكلبة في جميع

بطونها والخنزيرة كثيرة الاطباء وللفهدة في بطنها اربعة اطباء وللبوة
طبيان لا يصغران عن مقدار بدنها والبقرة والاتان والرمكة والحجر
في ذلك سواء الا انها من الحافر اطباء ومن الظلف اخلاف والسباع في ذلك
والحافر سواء وقال صاحب المنطق غرمول الفيل
يصغر عن مقدار بدنه وخصيته لاحقة بكليته لا ترايان ولذلك يكون
سريع السفاد وزعم الهندي صاحب كتاب الباءة ان اعظم
الايور اير الفيل واصغرها اير الظبي وما عجبت ما قرات في كتاب
الحيوان لصاحب المنطق وجدته قد ذكر راس الفيل وقصر عنقه ولم
يذكر انقلاب لسانه وذاك اعجب ما فيه ولم يذكر في كم تضع ولا
مقدار وزن اعظم الانياب فاما ولده فانه يخرج من بطن امه
نابت الاسنان والفيلة لا تلد التوام قال وهي تغذو وتغرد
وقد قال بعض العلما لا يقال اقنت واقردت الا لما يحوز
ان تتيم قال وامراضها اقل من امراض غيرها الا ان النفخ والرياح تعرض
لها كثيرا وتوذيها اذى شديدا وعامة امراضها من ذلك حتى ربما منعها البول
وغير ذلك قال واذا اكلت التراب ضرها ذلك ولا سيما اذا اكثرت
منه فعاودته قال وربما ابتلعت منه الحجاره
قال واذا اصابها استطلاق سقيت الماء الحار وعلفت الحشيش
المغسول واذا اتعبوها اعتراها السهر فتعالج عند ذلك بان تدلك
اكتافها بزيت وماء حار قال وبعضها يشرب الزيت شربا ذريعا

[illegible] صاحب المنطق

قال واذا تصعب الفيل او كان في حدثان ما اقتطعوه من الوحش
فانهم ينزون عليه فيلا مثله ويحتال له في ذلك فما اكثر ما يجدونه
بعد ذلك قد لان قال وهو ما دام راكبه عليه فالين من
كل ذي اربع واحسن طاعة ولكن لبعضها صعوبة عند نزوله عنه
فاذا شدوا مقاديم قوايمها بالحبال شدا شديدا لانت وهي على صعوبتها
تانس كثيرا واول ما تتعلم السجود للملك فاذا عرفه فكلما راه سجد له
واما صدق الحس فهو يفوق في ذلك جميع الحيوان وهو والجمل
سواء اذا علما ان الانثى قد لقحت لم يعاودها للضراب وهذه
فضيلة مذكورة في حس الجمل وقد شاركه الفيل فيها وباينه بخصال
اخر واناث الفيلة وذكورتها متقاربة في السن وكذلك النساء
والرجال وهو هندي الطباع نشاء في الدفاء وهو اجرد الجلد فلذلك
يشتد جزعه من البرد وان كان اجرد الجلد فما قولهم في احاديثهم
وطلبوا من الملك الفيل الابيض والفيل الابقع وجا فلان على الفيل
الاسود قال واخبرني رجل من البحرين لم ار فيهم اقصد منه
ولا اسد ولا اقل تكلفا قال لم اجدهم يشكون ان فيلا ضرب فيلا فاوجعه
والح عليه وانهم عند ذلك نحوه وخوفوه منه وقالوا الا تنح حيث يناله
فانه من الحيوان الذي يحقد ويطالب فلما اراد ذلك السايس القايلة
شده الى اصل شجره واحكم وثاقه ثم تنحى عنه بمقدار اذرع ونام
ولذلك السايس جمة قال فتناول الفيل بخرطومه غصنا كان مطروحا

حكاية غريبة

فوطي على طرفه حتى تشعث، ثم اخذه بخرطومه فوضع ذلك الطرف على
جمة الهندي، ثم لواه بخرطومه، فلما ظن انها قد تشبكت به وانعقدت
جذب العود جذبة فاذا الهندي تحت قوايمه فخبطه خبطة كانت نفسه
فيها، وان كان هذا الحديث حقا في اصل مخرجه، فكفاك بالفيل معرفة
ومكيدة، وان كان باطلا فانهم لم يحلوه مثل هذه الحيل دون غيره
من الدواب الا وفيه عندهم ما يحتمل ذلك ويليق به،
قال والعرق الذي يسيل من جبهته في زمان من الزمان يضارع ‏ غريبة
المسك في طيبه، ولا يعرض له وهو في غير بلاده، وقد علمنا ان لرايحة
الطيب فضيلة اذا كان بالمدينة، وان الناس اذا وجدوا ريح النوى
المنقع بالعراق هربوا منه، واشراف اهل المدينة ينتابون المواضع التي ‏ عجيبة في قصبة تبت
يكون ذلك التماسا لطيب تلك الرايحة، ويزعم تجار التبت
ممن قد دخل الصين والزابج، وقلب تلك الجزاير، ونقب في البلاد ان كل
من اقام بقصبة تبت اعتراه سرور لا يدري ما سببه، ولا يزال مبتسما ضاحكا ‏ في طيب هواء شيراز والمدينة
من غير عجب حتى يخرج منها، ويزعمون ان شيراز من بين قرى
فارس لها فغمة طيبة، ومن مشى واختلف في طرقات مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم وجد منها عرفا طيبا وبنة عجيبة، لا تخيل على احد ولا ‏ في خبث الاهواز وانطاكية
يستطيع ان يسميها، ولو ادخلت كل غالية وكل عطر من
المعجونات وغير المعجونات قصبة الاهواز او قصبة انطاكية لوجدته
قد تغير وفسد اذا اقام فيها الشهرين والثلثة، واجمع اهل

البحرين، ان لهم تمرا يسمى النابجي، وان من فضخه وجعله نبيذا ‏ غريبة في صبغ البحرين
ثم شربه وعليه ثوب ابيض، صبغه عرقه حتى كانه ثوب شحمي،
وزعم لي بعض البحريين انها بالهند تكون نقالة وعوامل كعوامل
الابل، والنقالة التي تكون في الكلا، والبوق، وانها تذلل لذلك
وتسامح وتطاوع، وان لها غلات من هذا الوجه،
وزعم ان احد هذه الفيلة التي راينا ها بسر من راى انه كان لقصار بارض
سند ان يحمل عليه الثياب الى الموضع الذي يغسلها فيه، ولا اعلمه الا الفيل
الذي بعث به ماهان او بكر بن عطية، قالوا وعظام الفيل
كله عاج الا ان جوهر الناب اكرم واثمن، وان اكثر ما ترى من العاج
الذي في القباب والحجال والفلك والمداهن، انما هي من عظام الابل يعرف
ذلك بالرزانة والملاسة، والعاج متجر كبير ويتصرف في

وجوه كثيرة شريفة، ولولا قدره لما فخر الاحنف بن قيس به فيما فخر به
على اهل الكوفة حيث قال نحن اكثر منكم عاجا وساجا وديباجا
وخراجا، ويقال انه من كلام خالد بن صفوان، ويقال انه من كلام
ابي بكر الهذلي، واذا خفق باذنه الفيل فاصاب ذبابا او
بعوضا او زنبورا لم يفلح، والفرس الكريم تقع الذبابة على موق عينه
فيصفق باحد جفنيه الاخر فتخر الذبابة ميتة، قال ابن مقبل
كان اصطفاق ماقييه بطرفه صفاق اديم بالاديم يقابله،
ويصيح الحمار فتصعق منه الذبابة فتموت قال العبشمي

من الحمير صعقا اذ تأنه بكل مسناء كتغريد المغن

وقال عقبة بن مكدم التغلبي

وترى طرفها حديدا بعيدا اعوجيا يطن رأس الذباب

وقال ابن مقبل

ترى النعرات الخضر تحت لبانه فرادى ومثنى اصعقتها صواهله

وقال في غير هذا الباب

انى لقاض بين شيبان وايل ويشكر انى بالقضا بصير

وجدنا بنى شيبان خرطوم وايل ويشكر خنزيرا ازب قصير

وليس هذا موضع هذين البيتين وانشد

امسى المضا ورهطه في غبطة لبسوا كما كان المضا يقول

لا تخراء الذبان فوق انوفهم فاليوم تخراء فوقها وتبول

ابو الحسن قال قال زياد ودخل داره وكان بناها له فيل مولاه فلم يرض بناءها فقال ادعوا الي فيلا فلم يجدوه فقال ليتها في بطن فيل وفيل في البحر وكان فيل شديد اللكنة فاهدى بعضهم لزياد حمار وحش فقال له فيل اصلح الله الامير قد اهدوا النا هما ر وهش قال اى شى تقول ويلك قال قد اهدوا الينا اير يريد عيرا فقال زياد الاول امثل وكان ابو مالك يقول العيثوم الفيل الانثى وذهب الى قول الشاعر

وطئت عليك بخفها العيثوم

فدل قول علقمة بن عبدة على ان العيثوم من صفات العظيم الضخم

قال

وقال

تتبع جونا اذا ما هيجت زجلت كأن دفا على العلياء مهزوم

اذا ترغم من حافاتها ربع حنت شغاميم من اوساطها كوم

يهدى بها اسحج الخدين مختبر من الجمال شديد الخلق عيثوم

وقد اكثروا في ضرب المثل بتبعيد ما بين الجنسين وقال عبد الرحمن بن الحكم

اتغضب ان يقال ابوك عف وترضى ان يقال ابوك زان

فاقسم ان رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان

فجعل معوية من نسل الفيل لشرفه وجعل زيادا من نسل الحمار لضعته ولعمرى لقد باعد وكذلك قول الكميت

وداعى الاشعرين اخ لعل كما نسب الحروف الى الافيل

ولعمرى لقد باعد لان الغنم وان كانت من النعم من ذوات الجرة والكروش فان ما بين الغنم والابل بعيد وقوله

وما جفت الضباب معطفات على الحيتان من شبه الحسول

فهذا ابعد وابعد لانه وان ذهب الى ان ولد نزار عرب فهم في معنى الضباب وساكني الصحارى واولئك عجم وجعلهم كالسمك الذي يعيش في الماء الا ترى ان معوية بن سفين بن معوية بن يزيد لما قتلت ضبة دشت في استه سمكه وقد قال جرير

ما بين تيم واسمعيل من نسب الا قرابة بين الزنج والروم

قال قطرب الصقالبة ابعد قيل له ان جريرا لا يغضب بين الصقالبة
والروم وعلى معنى الكميت قال الاخر

حتى يؤلف بين الضب والنون

وتقول العرب لا يكون ذاك حتى يجمع بين الاروى والنعام
لان الاروى جبلية والنعام سهلية وقد قال الكميت

يؤلف بين ضفدعة وضب ويعجب ان نبر بني ابينا

وهذا هو معناه الاول وابعد من هذا كله قول الشاعر

حتى يؤلف بين الثلج والنار

قال ابو الحسن المدايني قلت لابي دهمان الغلابي عن الوقاصي
قال وحدثني بذلك الغيداقي عن الوقاصي قال قالت جارية لامها
ليلة زفافها يا امه ان كان اير زوجي مثل اير الفيل كيف احتال
حتى انتفع به قال فقالت الام اي بنية قد سالت عنها امها فقالت لا
يجوز الا ان يجعلك الله مثل امراة الفيل قال فسكت حولا ثم قالت لامها
يا امه فان سالت ربي ان يجعلني مثل امراة الفيل انطمعين ان يفعل قالت
يا بنيه سالت عن هذه المسله امي فذكرت انها سالت عنها امها فقالت لا
يجوز ذلك الا ان يجعل الله جميع نسا الرجال مثل نسا الفيلة انطمعين
ان يفعل ذلك قالت يا بنيه قد سالت عن هذه المسله امي فذكرت انها
قد سالت عنها امها فقالت لا يجوز ذلك الا ان يجعل الله جميع رجال النساء
مثل رجال الفيلة قال فسكتت عنها حولا ثم قالت يا امه لو سالت ربي

ان

ان يجعل جميع رجال النسا مثل رجال الفيلة انطمعين ان يفعل قالت يا بنيه
قد سالت عن هذه المسلة امي فذكرت انها قد سالت عنها امها وانها قالت
يا بنيه ان جعل الله الناس فيلة لم تجد امراة الفيل مع عظم بدنها
من اللذة الا مثل ما تجدين انت اليوم مع زوجك من اللذة فتذهب عنك
لذة الشم والعناق والتقبيل والضم والتقليب والعطر والصبغ والحلي
والمنطقة والعتاب والتفريه وجميع ما لك اليوم قال فسكتت عنها
حولا ثم قالت يا امه ان سالت ان يجعل اير الفيل اعظم انطمعين ان يفعل
قالت الام اي بنيه قد سالت عن هذه المسلة امي فذكرت امي انها قد سالت
عنها امها اعظم جحر حر امراة الفيل اوسع فتعود امركما الى الامر
الاول قال فسكتت عنها حولا ثم قالت يا امه فان سالت ربي ان يجعل
اير الفيل اشد غلمة فتصير عدد الكوامه اكثر انطمعين ان يفعل ذلك
قالت اي بنيه قد سالت عن هذه المسلة امي فذكرت انها قد سالت عن
ذلك امها وانها قالت اي بنيه فسلي الله ان يجعل زوجك اشد غلمة مما هو
عليه ولكن لا تسليه ذلك حتى تسليه ان لا يزيدك في غلمتك قالت
يا امه فان سالت ربي ان يجعله في غلمة التيس انطمعين ان يفعل قالت اي
بنيه قد سالت عن هذه المسلة امي فذكرت انها قد سالت عنها امها وانها
قالت لا يجوز ان يجعله في غلمة التيس حتى يجعله تيسا قالت يا امه فان
سالته ان يجعله تيسا انطمعين في ذلك قالت اي بنيه انه لا يجعله تيسا
حتى يجعلك عنزا قالت اي امه فان سالته ان يجعله تيسا ويجعلني

عنز انطعمين ان يفعل ذلك قالت اي بنية قد سالت عن هذه المسئله
امي فوجدتها في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخره وما اشك
انا اجلي قد دنا فلم تلبث الام الا اياما حتى ماتت

باب الظلف

وفي الظباء وهي معز والمعز اجناس والبقر الوحشي ذات اظلاف
وهي بالمعز اشبه منها بالبقر الاهلي وهي في ذلك تسمى نعاجا وليس
بينها وبين الظباء وان كانت ذوات جرة وكرش وقرون واظلاف
تسافد ولا تلاقح وهي تشبهها في الشعر وفي عدم السنام
والظلف الوعل والتيتل والثامور والايل جبليات كلها لا ادري
كيف التسافد والتلاقح منها ومن الظلف الخنازير وهي
بلا كرش ولا جرة ولا قرن وليس بينها موافقة الا في الظلف
وفي الخنازير ما ليس ظلفه بمنشق فذاك هو المخالف بالناب في بعدم هذه
الاشياء كلها وتتشاكل المعز والبقر والظباء بالشعر وقصر الذنب
وتخالف البقر والجواميس في طول الذنب وفي عدد ايام الحمل
ومن الظلف الضان والمعز وقد يكون بينهما تسافد وتلاقح الا انها
تلقيه مليطا قبل ان يشعر وذلك اقل من القليل
ومن الظلف البقر الاهلي والجواميس وهي اهلية ابدا وهي موافقة
للضان في القرن وعدم الناب وفي الجرة والكرش وتخالف
الضان في الصوف والسنام وتوافق المعز في الشعر وتخالف في السنام

وتخالف جميع الغنم في الحمل لان الغنم تضع كما تضع المراة في تسعة
اشهر وليس يشبه المراة في شي غير ذلك الا ما يذكرون من الغبب
ونتو الكاهل فانهما ربما كانا في بعض النساء واكثر ذلك في
نساء الدهاقين

القول في الزرافة

قال الزرافة تكون في ارض النوبة فقط وهي تسمى بالفارسية
اشتركاو بلنك كانه قال بعير بقرة نمر لان بلنك نمر فزعموا ان
الزرافة ولد النمرة من الجمل فلو زعموا ان الجمل يكوم الضبع ويكوم
بعض ماله ظلف ما كان الا كذلك والمسافدة في اجناس المخلب
والخف والحافر اعم ولو جعلوا الفحل هو النمر والانثى هي الناقة كان
ذلك اقرب في الوهم وليس كل ذكر يكوم انثى يلقحها وقد يكوم
الانسان الدابة بشهوة منهما جميعا ولا يكون تلاقح كما اتفقا في المسافدة
والراعي يكوم الغنم وغير الغنم فانظر كم من ضرب ادعوا مما لا يعرف
فواحدة ان بهيمة ذكرا اشتهى سبعا انثى وهي من اصعب السباع
ثم الثانية انه القح والثالثة ان ارحام النمور لا تتسع لاولاد الابل
قالوا فنمورهم عظام وابلهم لطاف وقد تتسع ارحام القلاص العربية
لفوالج الكرمان فتجي بهذه الجمازات ولولا انه فسر الجماز ان يكون
النمر يكوم الناقة فتتسع ارحامها لذلك قالوا وفي اعالي بلاد
النوبة تجتمع سباع ووحوش ودواب كثيرة في حمارة القيظ الى

شرايع المياه فتتسافد هناك فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فيجي من
ذلك خلق عظيم مختلف الصورة والشكل والقدر منها الزرافة فللزرافة
خطم الجمل وجلد نمر والراس والاظلاف للايل والذنب للظبي والانياب
للبقرة فان كانت امها ناقة فقد كامها نمر وايل وظبي
في تلك الشرايع وهذا القول يدل على جهل شديد
والزرافة طويلة اليدين منحنية الى ما اخيرها وليس لرجليها ركبتان
وانما الركبتان ليديها فلذلك البهايم كلها وعساه انما اراد الثفنات
والانسان ركبتاه في رجليه ويقولون اشترمرك للنعامة على شترمرغ
التشبيه بالبعير والطاير يريدون تشابه الخلق على الولادة ويقولون
للجاموس كاوماش على ان الجاموس يشبه الكبش والثور لا على الولادة گاومیش
لان كاو بقرة وماش اسم للضان وقال الاخر تضع
ام الزرافة ولدها من بعض السباع ولا يشعر الناس بذلك الذكر
قالوا كاوماش على شبه الجواميس بالضان لان البقر والضان لا يقع
بينهما تلاقح والتفليس الذي في الزرافة لا يشبه تفليس النمر وهو بالببراشبه
وما النمر باحق به من هذا الوجه من الفهد قد يصلح ان تسمح الضبع للذيب
والذيبة للذيخ والكلبة للذيب وكذلك الثعلب والهر وكذلك الطير
واجناس الحمام كالورداني والورشان والحمام وكالشهري من بين الحجر
والبرذون والرمكة والفرس وكالبغل والرمكة والحمار فاما نزول الجمل على
النمرة للجمل والسباع انما تتلاقح وتتسافد وهي قايمة وكذلك

الظلف

الظلف والحافر والمخلب والخف والتمساح والانسان يتبطبان
الانثى والطير كله انما يتسافد بالاستناه والحيات يتطوى بعضها
على بعض واجناس الانعام والسباع والخنازير من خلف وهي قايمة
وزعموا ان الغراب يزاق والحجل والقبج ربما القحى الاناث اذا كانا
على علاوة الريح ولا تكون الولادة الا في موضع القرار النطفة
والشي الذي يلقح منه واما الشركة فقد عاين
قوم معارضة الذكر للانثى فاذا سبح الذكر الى جنب الانثى
عقف ذنبه وعقفت ذنبها فيلتقي المبالان فتكون الولادة من
حيث يكون التلقيح لا يجوز غير ذلك والذين زعموا
ان الحجلة تلقح من الحجل اذا كانت في سفالة الريح من شي ينفصل
من الذكر فانما شبهوا الحجل بالنخل فان النخلة ربما القحت من ريح
كافور الفحال اذا كانت تحت الريح قال سيل الشرقي
عن مخايرة ما بين ذوات القرون والجم قال الابل والخيل من الخف
والحافر والبرثن والمخلب والقدم الذي هو للانسان قال فمن خصال
ذي القرنين ان منه واليه ينسب ذو القرنين الملك المذكور في القران
ويزعم بعضهم انه الاسكندر وقال امية بن
ابي الصلت

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد
ويقال ضهبه على قرنه وقرن من دم كما يقال قرن من عرق

والقرن أمة بعد أمة، والقرن شيء يصيب فرج النساء يشبه بالعفلة
والفيل من ذوات القرون، وفي الحيات والافاعي ما لها قرون
وانما ذلك الذي تسمع به قرن انما هو شيء يقولونه على التشبيه لانه من
جنس الجلد والغضروف ولو كان من جنس القرون لكانت الحية صلبة
الراس، والحية اضعف خلق الله راسا وراسه هو مقتله لان كل شيء له
قرن فراسه اصلب وسلاحه اتم، والقرن سلاح عتيد غير مجتلب
ولا مصنوع وهو لذوات القرون في الرؤوس، والكركدن في جبهته
والجاموس اوثق به من الاسد بمخلبه ونابه، وتقول
المجوس تجيء بشوتن على بقرة ذات قرن، وظهرت الآية في شان
داود وطالوت في القرن، وشبور اليهود من قرن، والبوق في الحروب
مذ كانت الحرب انما كان من قرن، وبوق الرحى قرن، والايل ينصل
قرنه في كل عام، وكان سنان رمح الفارس في الجاهلية روق
ثور، ويسمى الرجل بروق والروق كالشيء يعاقب الشيء وفي العرب
روق وابو روق قال بشار في التعاقب،

• اعقبته الجنوب روقا من الاذنب •

وقال ابن ميادة،

• دان له الروقان من وائل وقبله دانت له حمير •

الروقان بكر وتغلب، ويقال قرن الضحى وقرن الشمس وقرون
الشعر وقرن الكلاء وقرون السنبل واطراف عروق النخل واطراف

عروق الحلفاء وابرة العقرب كلها قرون، والاجناس التي
تكون لها القرون تكون قرونها في الذكور منها وقد يكون في
الفحل اجم كما ان اللحى عامة في الرجال ويكون فيهم السوط وقد
يتشعب قرن الظباء اذا اسنت، وقرون الظباء وبقر الوحش شداد
جدا، وانما تعتمد الاوعال في الوثوب ومن القذف بانفسها من
اعالي الجبال الى اسفل على القرون، والاغلب على القرون ان تكون
اثنين وقد يكون لبعض الغنم قرون عدة، والجواميس تمنع
انفسها واولادها من الاسد بالقرون وبقر الوحش تمنع انفسها
واولادها من كلاب القناص ومن السباع التي تطيف باولادها
بالقرون، وقال الطرماح،

• اكل السبع طلاها فما تسل الاشبال غير انهزام •

قال ابن النوشجاني اقبلت من خراسان في بعض طرق الجبال
فرايت اكثر من ميلين متصلين في مواضع كثيرة في الارض اثر ست
ارجل فقلت في نفسي ما اعرف دابة لها ست ارجل فاضطرني الامر الى
ان سالت المكاري فزعم ان الذكر في زمان الهيج يركب
الخنزيرة وهي ترتع وتذهب نحو مبيتها فلا يقطع سفاده اميالا
ويداه على ظهرها ورجلاه خلف رجليها فمن راى تلك الآثار راى ست ارجل
لا يدري كيف ذلك، قال فالخنزير في ذلك على شبيه بحال الذباب
الذكر اذا سقط على ظهر الانثى في طول السفاد، وان الجمل في

ذلك لعجيب الشأن فأما العدد فالعصفور ويحكى أن للورل
في ذلك ما ليس لشيء يعني في القوة وأنشد أبو عبيدة
مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها
تريده وهمت به ألقى فيه حسكة فأخذت بحلقها حتى ماتت
وأنشدني ابن الأعرابي عند هذا الحديث قول الشاعر

كان لكل عند كل بخيمة يريد بتحريق الأديم استلالها

وأنشد أبو عمرو الشيباني بيت شعر وهو هذا المعنى بعينه وهو قول
الأسدي ثم الزبيري

إن كنت أبصرتني فذًا ومضطهدًا فربما قتل المكاء ثعبانا

يقول قد يظفر القليل بالكثير الأعوان والمكاء من
أصغر الطير وأضعفه وقد احتال للثعبان حتى قتله
وقال جالينوس في الأخبار عن معارف البهائم والطير وفي التعجب
من ذلك وتعجيب الناس منه قولوا لي من علم النسر الأنثى إذا خافت
على بيضها وفراخها الخفافيش أن تفرش ذلك الوكر بورق الدلب
حتى لا تقربه الخفافيش وهذا عجب والأطباء والعلماء لا
يدافعونه والنسور من المنسوبة إلى قلة المعرفة والكيس
والفطنة قال وقال ابن الأعرابي وأبو الحسن المدائني
قال رجل من العرب كان سنان بن أبي حارثة أخرم من فرخ
العقاب قال وذلك أن جوارح الطير تتخذ أوكارها في عرض

الجبل فربما كان الجبل عمودًا فلو تحرك الفرخ إذا طلب الطعم
وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما أو زاد في حركته شيئًا من موضع
مجثمه لهوى من رأس ذلك الجبل إلى الحضيض وهو يعرف مع صغره
وضعفه وقلة تجربته أن الصواب في ترك الحركة ولو وضع في
أوكار الوحشيات فراخ من فراخ الأهليات لتهافتن تهافتا كفراخ
القطا والحجل والقبج والدجاج لأن هذه تدرج على البسيط وذلك
لها عادة وفراخ الوحشية لا تجاوز الأوكار لأنها تعلم وتعرف
أن الهلكة في المجاوزة وأولاد الملاحين الذين ولدوا في السفن
الكبار والشاهرات العظام لا يخاف الآباء والأمهات
عليهم إذا درجوا وحبوا ومشوا أن يقعوا في الماء فيغرقوا ولو أن
أولاد سكان القصور والدور صاروا في مكان سكان السفن
لتهافتوا ولكل شيء قدر وله موضع وزمان وجهة وعادة فإذا
استوى قصب ريش فرخ العقاب واحس بالقوة طار وأبوا فرخ
الخطاف يعلمانه الطيران تعليمًا زعم ناس من أطباء
النصارى وهم أعداء اليهود يختنون أولادهم في اليوم
الثامن وأن ذلك يقع ويوافق أن يكون في الصميمين كما يوافق
الفصلين وأنهم لم يروا يهوديًا قط أصابه مكروه من قبل الختان
وأنهم قد رأوا من أولاد المسلمين والنصارى ما لا يحصى ممن لقي المكروه
في ختانه إذا كان في الصميمين من ريح الحمرة ومن قطع

ابن ... يعني

... النصارى ... يختنون الاولاد
في نظر ... عطل

طرف الكمرة ومن ان تكون الموسى حديثة العهد بالاحداد
وسقي الماء فتنبسط عند ذلك الكمرة ويعتريها برص والصبي
ابن ثمانية ايام اعسر ختانا من الغلام الذي قد نشب وشدن
وقوي الا ان ذلك البرص لا يتفشى ولا يعدو وهو في ذلك كنحو البرص
الذي يكون من الكي واحراق النار فانهما لا يتفشيان ولا يتسعان
ويختتن من اولاد السفلة والفقراء الجماعة الكثيرة فيؤمن عليهم
خطاء الخاتن وذلك غير مامون على اولاد الملوك واشباه الملوك
لفرط الاجتهاد وشدة الاختلاط ومع ذلك يزمع ومع الزمع والرعدة
يقع الخطاء وعلى قدر رعدة اليد ينال القلب من الاضطراب
وليس من التدبير ان يحضر الصبي والخاتن الا اسفلة الخدم ولا
يحضره احد ممن يهاب وهذا الختان في العرب في النساء
والرجال من لدن ابرهيم وهاجر الى يومنا هذا ثم لم يولد صبي قط
مختونا او في صورة مختون وناس يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم
وعيسى بن مريم عليه السلام ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا
الرجوع الى الرواية الصحيحة والاثر القائم قال
والبظراء تجد من اللذة ما لا تجد المختونة فان كانت مستاصلة
موعبة كان على قدر ذلك واصل ختان النساء لم يحاول به الحسن
دون التماس من نقصان الشهوة فيكون العفاف مقصورا عليهن و
لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للخاتنة يا ام عطية اشمّيه ولا

خ البرص الذي يتفشى

تنهكيه فانه اسرى للوجه واحظى عند البعل كانه صلى الله عليه وسلم
اراد ان ينقص من شهوتها بقدر ما يردها الى الاعتدال فان
شهوتها اذا قلت ذهب التمتع ونقص حب الازواج وحب الزوج
قيد دون الفجور والمراة لا تكون في حال من حالات الجماع
اشد شهوة منها للكوم الذي لقحت منه وقد كان
رجل من كبار الاشراف عندنا يقول للخاتنة لا تعرضي منه الا لما
يظهر فقط وزعم جناب بن الخشخاش القاضي انه
احصى في قرية ولجوة عدد المختونات والمعبرات فوجد اكثر
العفايف موعبات واكثر الفواجر معبرات وان
نساء الهند والروم وفارس انما صار الزنا وطلب الرجال
اشد فلذلك اتخذ الهند دورا للزواني قالوا وليس لذلك علة الا
وفارة البظر والقلفة والهند توافق العرب في كل شيء الا في
ختان النساء والرجال دعاهم الى ذلك تعمقهم في حظ توفير الباه
قالوا ولذلك اتخذوا لذلك الادوية وكتبوا في صناعة الباه
كتبا ودرسوها الاولاد قالوا ومن اكبر ما يدعوا النساء الى
السحق انهن اذا الزقن موضع محز الختان بموضع محز الختان
وجدن هناك لذة عجيبة وكلما كان ذلك منها اوفر كان ذلك
السحق الذ ولذلك صار حذاق الرجال يضعون اطراف الكمر ويعتمدون
بها على محز الختان لان هناك مجتمع الشهوة ومن الباب

الذي ذكرنا فيه صدق احساس الحيوان ثم اللاتي تضاف منها الى
الموق وتنسب الى الغنارة • قال داوود النبي
عليه السلم في الزبور • شوقي الى المسيح مثل الايل الذي اذا اكل
الحيات • فاعتراه العطش الشديد تراه كيف يدور حول الماء •
ويحجزه من الشرب منه علمه بان في ذلك عطبه • لان السموم
حينئذ تجري مع هذا الماء • وتدخل مداخل لم يكن ليبلغها الطعام
بنفسه • وليس علم الايل بهذا كان عن تجربة متقدمة • بل
هكذا يوجد في اول اياما كل الحيات • وفي آخرها • وربما اصطيد
الايل فيجد القناص رؤوس الافاعي • وسائر الحيات ناشبة الاسنان
في عنقه • وجلده وجهه لانها تريد اكلها فربما بدرته الافعى والاسود
وغيرهما من الحيات • فتعضه • وهي تاكلها • وتاكل ما تنال منها •
ويفوته ما تعلق به منها بالعض • فتبقى الرؤوس مع الاعناق معلقة
عليه الى ان تنقطع • قالوا وليس شيء من ذوات القرون ينصل قرنه في
كل عام الا الوعل • فاذا علم انه غير ذي قرن • وانه عديم السلاح لم يظهر
من مخافة السباع • فاذا طال مكثه في موضعه سمن • فاذا سمن
علم ان حركته تثقل وتبطئ • فزاد ذلك في استخفائه • وقلة
تعرضه • واحتال ان لا يكون ابدا الا على علاوة الريح • فاذا جم
قرنه • لم يجد بدا من ان يطعمه • ويعرضه للشمس والريح حتى اذا ايقن
بان قرنه قد اشتد • الفرح والذهاب التماسا ان يذهب شحمه ويشتد

لحمه • فعند ذلك يحتال في البعد من السباع حتى اذا امكنه استعمال
قرنيه في النزول والاعتماد عليهما • والوثوب من جهتهما رجع الى
حاله من مراعيه وعاداته • ولذلك قال عصام بن زفر •

• نرجو الثواب من صبح يا حمل • قد مضى الدهر وما فيه بلل •
• ان حصينا ظاعن محتمل • فلا يزد منك بشعب من جبل •
• كما يلوذ من اعاديه الوعل •

فضرب به المثل كما ترى في الاحتيال والهرب من اعدائه • وقال الراجز •
• لما رايت البرق قد تبسما • واخرج القطر القروع الاعصما •

قال ابن الاعرابي • انما سموا الوعل القروع لانه يقرع عجب
ذنبه من الناحيتين جميعا • وقال ابن الكلبي • قال الشرقي
ابن القطامي ذات يوم • ارايتم ان لو فكر رجل منكم عمره الاطول •
في ان يعرف الشيء الذي منه تتخذ الزنابير بيوتها المخرقة بمثل الجاوب •
في الاقدار المتحاجزة بالحيطان المستديرة المضمن بعضها ببعض •
السخيفة في المنظر • والخفيفة في المحمل المتقاربة الاجزاء • وهي
البيوت التي يعلم انها بنيت من جوهر واحد • وكانها من ورق
اطباق صغار الكاغد المرزدة • قولوا الحي من اي شيء جعلته • وهو
لا يشبه البناء • ولا النسج ولا الخياطة • ولم يفسر ابن الكلبي
ولا الشرقي في ذلك شيئا فلم يصر في ايدينا منهما الا التعجب
والتعجيب • فسالت بعد ذلك مشايخ الاكرة • فزعموا انها تلتقطه

من زبد المدود. قالوا فلا ندري أمن نفس الزبد تأخذ أم من
شيء يكون في الزبد، والذي عرّف الزنابير مواضع تلك الأجزاء
ودلّها على ذلك الجوهر هو الذي علّم العنكبوت ذلك
النسج، وقد قال الشاعر:

كأنّ قفا هارون إذ يعتلونه • قفا عنكبوت سُلّ من دبرها غزل

وقد قال بلا علم. وأمّا دودة القز فبلا شك أنها تخرجه من
جوفها. وتزعم الأطباء أنهم إنما استفادوا معرفة الحقنة من قبل
الطائر الذي إذا أصابه الحصر أتى البحر فأخذ بمنقاره من الماء المالح
ثم استدخله ثم مجّه في جوفه وأمكنه في ذلك طول العنق والمنقار
فإذا فعل ذلك ذرق فاستراح. والقنفذ وابن عرس إذا انتهشا
الأفاعي والحيات الكبار تعالجا بأكل الصعتر البري. والعقاب
إذا اشتكت كبدها من دفعها للأرنب والثعلب في الهواء وحطّها
لهما مرارًا فإنها لا تأكل إلا من الأكباد حتى تبرأ من وجع كبدها
قال: وسألت القنّاص ما رغبة الثعلب في أكل القنفذ وإن
كان حشو إهابه شحمًا سمينًا وظاهر جلده شوك صلب حادّ متقارب
كتقارب الشعر في الجسد، فزعموا أن الثعلب إذا أصابه قلبه لظهره
ثم بال على بطنه فيما بين مغرز عجبه إلى فكّيه، فإذا أصابه ذلك
البول اعتراه الأسر فانبسط وتمدّد فينقر عن بطنه فمن تلك
الجهة يأكل جميع بدنه ومسلوخه الذي يشتمل عليه جلده، وقالوا

ودودة القز
بحقنة
علاج نهش الأفاعي
علاج وجع الكبد
الثعلب يأكل القنفذ

وبشبيه بهذه العلّة يصيد الظربان الضبّ في جوف جحره حتى يغتصبه
نفسه، وذلك أنه يعلم أنه أنتن خلق الله فسوة، فإذا دخل عليه جحره
سدّ خصاصه وفروجه ببدنه، وهو في ذلك مستدبر له، فلا يفسو
عليه تلك الفسوات حتى يغشى عليه فيأكله كيف شاء. قالوا وربما
فسا وهو بقرب الهجمة وهي باركة فتفرّق في الصحراء فلا
يجمعها راعيها إلا بجهد شديد، ولذلك قال الشاعر:

لا تحمدوا صقرًا فإنّ المنيحة • أتت آل صقر من ثواب لأشكر
فما ظربان يونس الضبّ فسوه • بألأم لؤمًا قد علمناه من صقر

ولذلك قال الراجز وهو يذكر تكسّب الظربان بفسوه وطعمه وقوته
كما يكسب الناس بالصناعات والتجارات فقال:

يا أيها كان غضاريف القتب • مستمسكين بالبطان والحقب
كما يحك القين أطراف الخشب • وابن يزيد حرب بن الحرب
لا ينفع الصاحب إلا أن يسب • كالظربان بالفساء يكتسب

قال ابن الأعرابي: قلت لشيخ من قريش من علّمك هذا وإنما يحسن
مثل هذا أصحاب التجارات والتكسّب وأنت رجل يكفى مودّع، قال
علّمني الذي علّم الحمامة على بلهها تقليب بيضها كي تعطي الوجهين جميعًا
نصيبهما من الحضن، ولخوف طباع الأرض إذا دام على الشق الواحد
والحمام أبله، ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه يقولون
كونوا بلهًا كالحمام، ألا ترى أن الحمام في الوجه الذي ألهمه الله

حيلة أخرى

مصالح ما يعيشه ويصلح به شان ذرءه ونسله ليس بدون الانسان في
ذرءه ونسله مع ما خوّل من المنطق وألهم من العقل وأعطي من التصريف
في الوجوه • وإذا جمع بعض أهل العبث أو بعض أهل التجربة
بين العقرب والفارة في اناء زجاج فليس عند الفارة حيلة أبلغ من قرض
طرف ابرة العقرب فانها اما ان تموت من ساعتها واما ان يتعجل هي
السلامة • واما قوله ولا تغتر بالشكير فانها تدع الطيران ايام التحسير فاذا
نبت الشكير وهو اول ما ينبت من الريش فانه لا ينهض حتى يصير الشكير
قصبا • واما قوله ولا تسقط على الجفير فانما يعني جعبة
السهام يقول اذا رأته علمت ان هناك سهاما فهي لا تسقط في موضع
تخاف فيه وقع السهام • والرخم والنسور والعقبان تتبع الجيوش
لتوقع القتال وما يكون لها فيه من الجيف • وتتبع ايضا الجيوش والحجاج
لما يسقط من حسرى الدواب • وتتبعها في الازمنة التي تكون فيها
الانعام والحجور حوامل لما تؤمل من الاجهاض والاخداج •
وقال النابغة •

وثقت لهم بالنصر اذ قيل قد غزوا • كتايب من غسان غير اشايب •
بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر • اولئك قوم باسهم غير كاذب •
اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم • عصايب طير تهتدي بعصايب •
جوانح قد ايقن ان قبيله • اذا ما التقى الجمعان اول غالب •
تراهن خلف القوم خزرا عيونها • جلوس شيوخ في مسوك الارانب •

فاخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالي فقال •
النسور يكسو انفوس الناكثين به • ويجعل الروس تيجان القنا الذبل •
قد عود الطير عادات وثقن بها • فهن يتبعنه في كل مرتحل •
قال الكميت كما ترى • تحمق وهي كيسة الحويل •
نزعم ان الناس يحمقونها وهي كيسة • وقال اصحابنا
قيل لاعرابي اتحسن ان تاكل الراس قال نعم قال كيف تصنع
قال ابخص عينيه وارمي بالدماغ الى من هو احوج مني اليه قيل له انك
لاحمق من ربع قال وما حمق الربع والله انه ليجتنب العدواء ويتبع
امه في المرعى ويراوح بين الاطباء ويعلم ان حنينها دعاء فاين
حمقه • وحدث ابن الاعرابي عن هشام بن
سالم وكان مسنا من رهط ذي الرمة قال اكلت حية بيض
منها ثم يقتلها كيف شاءت وتاكلها كيف احبت • قال
ومن علم الذرة ان تفلق الحبة او تاكل موضع القطمير لئلا تنبت
فتفسد فاذا كانت الحبة من حب الكزبرة ففلقتها انصافا لم ترض
حتى تفلقها ارباعا لان الكزبرة من بين جميع الحب تنبت وان كانت
انصافا • وهذا علم غامض اذا عرفه الشيخ الفلاح المجرب في الفاشكار
الرئيس والاكار الحاذق فقد بلغ النهاية في الرياسة •
وقال ايضا خاليبوس • ومن علم الذئب الانثى اذا وضعت
ولدها ان ترفعه في الهواء اياما تهرب به من الذر والنمل لانها

تضعه كقدرة من لحم غير متميز الجوارح فهي تخاف عليه الذرّ
وذلك لها حتف فلا تزال رافعة له وراصدة ومتفقدة ومحوّلة له
من موضع الى موضع حتى يشتد وتنفرج اعضاؤه

قال بشار الاعمى

اما الحياة فكل الخلق يحفظها وفي المعيشة ابلاء مناكير
وكل قسم فللعقبان اكثره والحظ شيء عليها الدهر مقصور

وقال بشر أخو بشار وكانوا ثلثة لأمّ واحد حنفي وآخر
سدوسي وبشار عقيلي وانما كان نزل في بني سدوس لسبب اخيه
وقد كان قيل لاخيه لو خيرك الله ان تكون شيئا من الحيوان اي شيء
كنت تتمنى قال عقاب قال ولم تمنيت ذلك قال لانها تبيت حيث لا
ينالها سبع ذو اربع وتحيد عنه سباع الطير وهي لا تعاني الصيد الا
في الوقط ولكنها تسلب كل صيود صيده   واذا جامع صاحب
الصقر وصاحب الشاهين وصاحب البازي صاحب العقاب لم يرسلوا اطيارهم
خوفا من العقاب وهي طويلة العمر عاقة بولدها فهي لا تحمل على نفسها
في الكسب عليها وهي ان شاءت كانت فوق كل شيء وان شاءت كانت
بقرب كل شيء تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن وريشها الذي عليها
هو فروها في الشتاء وخيشها في الصيف وهي ابصر خلق الله هذا
قول صاحب المنطق في عقوق العقاب وجفائها لولدها   فاما
اشعار العرب فهي تدل على خلاف ذلك

قال دريد بن الصمة

وكل الجوج في العنان كأنها اذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر
لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

والحيوان المحمق الرخمة والحبارى   قال عثمن بن
عفان كل شيء يحب ولده حتى الحبارى وانثى الذياب وهي التي
تسمى جهيرة والضبع والنعجة والعنز هذه هي الموصوفات بالموق
جدا   وقال الآخر من الحيوان ما ليس عنده الا الجمال
والحسن كالطاوس وهو من الطير المحمق وكذلك التدرج
مع جماله وحسنه وعجيب وشيه   والزرافة وهي ايضا موصوفة
بالموق ليس عندها الا طرافة الصورة وغرابة النتاج وهي من
الخلق العجيب مواضع الاعضاء وتتنازعها اشباه كثيرة والفيل
عجيب طريف ولكنه قبيح مسيخ وهو في ذلك بهي نبيل
والعين لا تكرهه والقرد قبيح مليح وعند السقاء والمكاء والعندبيل
وابن تمرة مع صغر اجرامها ولطافة شخوصها وضعف اسرها من المعرفة
ما ليس عند الزرافة والطاوس   والسقاء عجيبة الامر ويقولون
عندبيل وعندليب وهو من اصغر الطير   واما الاجناس المائية
من اصناف السمك والاجناس التي تعايش السمك فان جماعتها موصوفة
بالجهل والموق وقلة المعرفة وليس فيها خلق مذكور ولا خصلة
من خصال الفطن الا كنحو ما يروى من صيد الجري للجرذان وحمل

تلك الدابة للغرقى حتى تؤديهم الى الساحل • والسمكة شديدة
البدن • وكذلك الحية • وكل شيء لا يستعين بيد ولا بجل ولا جناح
وانما يستعمل اجزاء بدنه معا فانه يكون شديد البدن •
خبرني بعض الصيادين ان الشبوطة تنتهي في النهر الى الشبكة فلا
تستطيع النفوذ منها فتعلم انه لا ينجيها الا الوثوب فتتاخر قاب رمح
ثم تقبل حتى تجمع جراميزها حتى تثب فربما كان ارتفاع وثبتها في الهواء
اكثر من عشر اذرع • وانما اعتمدت على ماء • وهذا العمل اكثر ما رووه
من معرفتها وليس لها في المعرفة نصيب مذكور • وانواع
السمك تغوص في الطين • وذلك لها مستقر • وتتنفس في جوفه وتلزم
اصول النبات اذا لم ترتع • وتلتمس الطعم والفساد • ونحن نراها في شط
دجلة والفرات وجميع الاودية والانهار عند نضوب الماء • وانكشاف
الارض • وظهور وجه الطين • وعند الجزر ونقصان الماء • في اواخر
الصيف • وايام محاورة الاهلة • والانصاف حجرا فقط فضلا على ما يقولون
انها تجعل بطون الانهار بيوتا • ورايت عجبا اخر وهو اني
في طول ما دخلت البراري وجزت البلدان وجلت في صحاري جزيرة
العرب • والروم • والشام • والجزيرة • وغير ذلك مما اعلم اني رايت على القمم
طريق اوجادة اوشرك يصاقب ذلك • او اذا جانبت الطرق وامعنت
في البراري • وصرت الى الموضع الوحشي حجرا واحدا يجوز ان تدخله
ضبع او تيس ظباء • او بعض هذه الاجناس الوحشية • وما اكثر ما

ارى الجحرة • ولكني لم ار شيئا يتبع للثعلب وابن آوى فضلا على هذه
الوحوش الكبار • مما هو مذكور بالتوحش • والوجار • وما لكناس والعرين
وجحر الضبع يسمى عرينا وهو غير العرين الذي يضاف الى الشجر
واما حفظ الحياة والبصر بالكسب والاحتراس من العدو والاستعداد
بالحيل فكما اعد الضبع واليربوع والفهد • اذا سمن عرف انه مطلوب •
وان حركته قد ثقلت فهو يخفي نفسه بجهده حتى ينقضي ذلك الزمان
الذي تسمن فيه الفهود • ويعلم ان واجد بدنه شهيته الى الاسد والنمر
وهو الطف شما لارايح السباع القوية من شم السباع للرايحة الشهية
فهي لا تكاد تكون على علاوة الريح • والايل ينصل
قرنه في كل عام مرة • فيصير كالاجم • فاذا كان ذلك الزمان
استخفى وهرب وكمن • فاذا نبت قرنه عرضه للريح والشمس في
المواضع الممتنعة • ولا يظهر حتى يصلب قرنه • ويصير سلاحا يمتنع به
وقرنه مصمت ليس في جوفه قرن • ولا هو اجوف الاسفل مصمت
الاعلى • والبعير يدخل الغيضة والروضة وفي النبات ما هو غذاء ومنه
ما هو سم عليه خاصة • ومنه ما يخرج من الحالين جميعا ومن الغذاء ما
يريده في حال ولا يريده في حال الخصب والخلة • ومنه ما يغتذي به غير جنسه
فهو لا يقربه • وان كان ليس بقاتل • ولا معطب • فمن تلك
الاجناس ما يعرفه برؤية العين دون الشم • ومنه ما لا يعرفه حتى
يشمه • وقد يغلط في النشر فياكله كصيع الحافر في الدفلي والناقة

تعرف قولهم حل والجمل يعرف قولهم جاه • وقال
الراجز وهو يحمق رجلا هجاه فقال
• يقول للناقة قولا للجمل • يقول اجاه ثم يثنيه بحل •
ومما فضلت به اناث السباع والبهايم من الوحشية والاهلية في رفع
اللبن وارساله عند حضور الولد والمراة لا تقدر ان تدر على ولدها •
وترفع لبنها في صدرها اذا كان المقرب منها غير ولدها والذي
اعطى الله البهايم في ذلك مثل تعرف به المعنى فتوهمه •
اعلم ان الله تعالى وعز قد امكن الانسان على ان يحبس بوله وغايطه
الى مقدار • وان يخرجهما ما لم تكن هناك علة من حصر واسر • وانما
يخرج منه بوله ورجعه بالارادة والتوجيه والتهيو لذلك • وقد جعل
اليه حبسه واخراجه وتاخيره وتقديمه على ما فسرنا فعلى هذا الطريق
طوق اناث البهايم والسباع دفع اللبن وارساله • وقال
الله وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم •
ثم قال ما فرطنا في الكتاب من شي • ثم قال ثم الى ربهم
يحشرون • فالكلمة في الحشر مطلقة عامة ومرسلة غير مستثنى
منها فاوجب في عموم الخبر على الطير الحشر • والطير اكثر الخلق •
والحديث ان اكثر الخلق الجراد • ومن العقارب طيارة
قاتلة • وزعم صاحب المنطق ان بالحبشة حيات لها اجنحة واشيا كثيرة
تطير بعد ان لم تكن طيارة • منها الدعاميص • والنمل • والارضة •

والجعلان • والجراد • ينتقل في حالات قبل نبات الاجنحة •
قالوا وحين عظم الله شان جعفر بن ابي طالب خلق له جناحين يطير بهما
في الجنة • كانه تعالى وعز الحقه بشبه الملايكة في بعض
الوجوه • وذكر الله الملايكة فقال اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع • ولا يقال للملايكة طير • ولا يقال انها من الطير دفعا
لاقدارها • ولا يقال للنمل • والدعاميص • والجعلان • والارضة اذا طارت
من الطير كذلك لا يقال للجرجس • والبعوض • واجناس الهمج انها من
الطير وضعا لاقدارها عن اقدار ما يسمى طيرا • والملايكة تطير ولا
يسمونها طيرا لرفع اقدارها عن الطير • وفي الرواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم انشد قول امية بن ابي الصلت •
• رجل وثور تحت رجل يمينه • والنسر للاخرى وليث مرصد •
فقال صدق • وقوله نسر يعني في صورة نسر لان الملك لا يقال
له نسر • ولا صقر • ولا عقاب • ولا باز • وذكروا غراب
نوح • وحمامة نوح • والهدهد • والنحل • والرماح • وما جاء من الاثر
في ذلك الديك الذي يكون في السماء • وقال الناس غراب
نوح • وهدهد سليمن • وحمامة نوح • ورووا في الخطاف في الصرد والصوتية
ولا نعرف شيئا من الحيوان اشرف اسما من الخيل • والطير لانهم يقولون
فرس جواد • وفرس كريم • وفرس وسيم • وفرس عتيق • وفرس رايع • وقالوا
من الطير لذوات المخالب المعقفة • والمناسر المعقفة احرار • ومضرحيات

وعتاقٌ وكواسبٌ وجوارحٌ وقال لبيد بن ربيعة

فانتضلنا وابن سلمى قاعدٌ كعتيق الطير يُغضي ويُجَلّ

وقال الشاعر

جُرٌ صنعناه لتحسن كفّه عمل الرفيقة واستلاب الأخرق

ولولا أنا قد ذكرنا شأن الهدهد والغراب والنمل وما ذكرها به القرآن والخصال التي فيها من المعارف ومن القول والعمل لذكرناه في هذا الموضع

ما جاء في ذكر الطير

قال الله جل ثناؤه ورسولاً الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وقال الله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني وقال وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقال الله اما احدكما فيسقي ربه خمراً واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه وقال الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم في تضليل وارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وقال الله وورث سليمن داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق

الطير ولم يذكر منطق البهائم والسباع والهمج والحشرات وقال الله فسئلوهم ان كانوا ينطقون لانك حيثما تجد المنطق تجد الروح والعقل والاستطاعة وقالوا الانسان هو الحي الناطق وقال الله فاخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فقال افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولاً ثم قال وحشر لسليمن جنوده من الجن والانس والطير ولم يذكر شيئاً من جميع الخلق وقد كان الله قد سخر له جميع ذلك ثم قال وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ولم يتفقد شيئاً مما سخر له ولا دل سليمن على ملكة سباء الا الطاير وقال الله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير وقال الله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فلما ذكر داود قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ولم يذكر شيا مما يسبح غير الطير وقال الله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وقالوا منطق الطير على التشبيه بمنطق الناس ثم قالوا بعد الصامت والناطق ثم قالوا بعد الدار تنطق قال الله يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون

وقال الله وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض
تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون • وكان عبد الله بن
عباس • يقول ليس يعني بقوله تكلمهم من الكلام • وإنما هو من الكلم تفسير غريب
والجراح • وجمع الكلم كلوم • ولم يكن يجعله من المنطق بل
يجعله من الخطوط والوسم • كالكتاب والعلامة اللذين يقومان
مقام الكلام والمنطق • وقال الآخرون لا ندع ظاهر
اللفظ • والعادة الدالة في ظاهر الكلام إلى المجازات قالوا فقد
ذكر الله الدابة بالمنطق • كما ذكروا في الحديث كلام الذيب
لأوس بن أهبان • وقول الهدهد مسطور في الكتاب
بأطول الأقاصيص • وكذلك شأن الغراب • وقال الله
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل
شيء وجعل الله مقالة النملة قرآنا • وقال وما من
دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا
في الكتاب من شيء • وقال في مكان آخر ولحم طير
مما يشتهون • وقال والطير محشورة كل له أواب •
وذكر الملائكة فقال أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع • وأنشدوا
النبي صلى الله عليه وسلم قول أمية بن أبي الصلت •
• رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد •
فقال صدق • وخلق الله لجعفر جناحين في الجنة عوضا من يديه

المقطوعتين في سبيل الله قالوا ولو كانت في الأرض يد تفضل الجناح
لجعلها الله بدل الجناح • وسماه المسلمون الطيار • ويقال
ما هو إلا طائر إذا أرادوا مديح الإنسان في السرعة •
وقال الفرزدق •
• جاؤوا مع الريح أو طاروا بأجنحة خلفوا في جرانا سيدي مضر •
والأمم كلها تضرب المثل بعنقاء مغرب • وقد جاء في نسر لقمان ما قد
جاء من الآثار والأخبار • وقال الخارجي •
• إن معاذ بن مسلم رجل قد ضج من طول عمره الأبد •
• قد شاب رأس الزمان واختضب الدهر وأثواب عمره جدد •
• يا نسر لقمان كم تعيش وكم تسحب ذيل الحياة يا لبد •
• قد أصبحت دار آدم خربت وأنت فيها كأنك الوتد •
• تسأل غربانها إذا حجلت كيف يكون الصداع والرمد •
وقال النابغة •
• أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد •
وقال الله ولا يغوث ويعوق ونسرا لأن ذلك الصنم كان
على صورة النسر • وقالوا أحرار فارس • وأحرار الرياحيين • وأحرار
البقول • وأحرار الطير • وهي الأحرار • والعتاق • والكواسب • والجوارح
والمضرحيات • وقال الله وإذ قال إبراهيم رب أرني
كيف تحيي الموتى • قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي • قال

فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزا ثم ادعهن
ياتينك سعيا ٥

اسماء ما في النجوم والبروج
والفرس والناس وغير ذلك من اسماء الطير

مما يعد في الفرس من اسماء الطير الفراش وهو المنخر والذباب وهو
ذباب العين والصلصل وهو الدايره في الجبهه والعصفور هو الجلده
تحت الناصية والحداه وهو اصل الاذن والهامه وهو الجلده التى
فيها الدماغ والفرخ موضع الفهقة والناهضتان في المنكبين
والصرد عرق تحت اللسان والسمامه الدايره في عرض العنق والقطاه
موضع الردف والغرابان العظمان الناتيان بين الوركين ويقال
الغراب طرف الورك والساق ساق الفرس وهو ذكر الحمام والخطاف
موضع الركاب من جنبه والرخمه البضعه الناتيه في ظهر الفخذ
والاصقع الابيض الناصيه وقال الله ولقد اتينا داود منا
فضلا يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد وفي السماء النسر
الطاير والنسر الواقع وفي الاوثان القديمه وثن كان يسمى نسرا
ويزعمون انه كان على صورة نسر وقال الله ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا
وقال واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له

اواب وفي اسماء الناس غراب وصرد وفي اسماء النساء
فاختة وحمامه وفي اسماء الناس يمام ويمامة وسمامة وشاهين
وفي اسماء النساء عقاب وقطاه وقطية ودجاجة يكون للرجال
والنساء ويسمون بعصفور ونقاذ وجحاف ويسمون الرجال
بقطامي مثل ابو الشرقي بن القطامي الشاعر واذا كانت امراه قالوا قطام
مثل حذام وقال امرو القيس بن حجر
وانا الذى عرفت معد فضله ونشدت حجرا وابن ام قطام
ويسمون بمضرحي وكبار الطير هي المضرحيه واكثر ما يستعمل ذلك في
عتاق الطير واحرارها ويسمون بحر وليس الحر من الطير الا العتيق
وقال الشاعر
حر صنعناه لتحسن كفه عمل الرقيقة واستلاب الاخرق
ويسمون صعوة وسماني وسمانة ويسمون بجناح ويلقبون بمنقاذ
ويسمون بفرخ وفريخ وصقر وصقير وابي الصقر وطاوس وطويس
وفي الالقاب يويو وزرق وفي الاسماء حيقطان وهو الدراج
الذكر ويسمون بحذف وحذيفة وابي حذيفة وفي الالقاب
ابو الكراكي وفي الصفات الغرانيق والغرنوق
وقال امية بن ابي الصلت
فاسمع لسان الله كيف شكوله عجب ويلسنك الذي تستشهد
والوحش والانعام كيف لغاتها والعلم يقسم بينهم ويبدد

وقال الله مخبرا عن سليمن انه قال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير وقال الشاعر
يا ليلة لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير
وقال الشاعر
وغنت الطير بعد عجمتها واستوفت الخمر حولها كملا
وقال الكميت
كالناطقات الصادقات الواسقات من الذخاير
قال ولكل جنس من اجناس الحيوان احتراف وتكسب
وروغان من الباغي عليه واحتيال لما اراد صيده فهو يحتال لما هو دونه
ويحتال في الامتناع مما فوقه ويختار الاماكن الحصينة مما حملته
والاستبدال بها اذا انكرها ولها منطق تتفاهم به حاجات بعضها
الى بعض ولا حاجة بها الى ان يكون في منطقها فضل لا تحتاج الى استعماله
وكذلك معانيها في مقادير منافعها ومضارها ولا حاجة بها الى اكثر من
مقادير معارفها التي هي مقادير حاجاتها وقيل لرجل من الخطباء
متى عقلت قال ساعة ولدت فلما راى انكارهم لكلامه قال اما انا
فقد بكيت حين جعت وطلبت الثدى حين احتجت وسكت حين
اعطيت يقول لهذه كانت مقادير حاجاتي ومن عرف حاجاته
اذا منعها واذا اعطيها فلا حاجة به في ذلك الوقت الى اكثر
من ذلك العقل ولذلك قال الاعرابي

سقى الله ارضا يعلم الضب انها بعيد من الافات طيبة البقل
بنى بيته منها على راس كدية وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل
قال فان قال قايل ليس ذلك بمنطق قيل له اما القران فقد
نطق بانه منطق والاشعار قد جعلته منطقا وكذلك كلام
العرب وان كنت انما اخرجته من حد البيان وزعمت انه ليس بمنطق
لانك لم تفهم عنه فانت ايضا لا تفهم كلام عامة الامم وانت وان
سميت كلامهم رطانة وطمطمة فانك لا تمتنع من ان تزعم ان ذلك
كلامهم ومنطقهم وعامة الامم ايضا لا يفهمون كلامك ومنطقك
فجايز لهم ايضا ان يخرجوا كلامك من البيان والمنطق وهل صار ذلك
الكلام منهم بيانا ومنطقا الا لتفاهمهم حاجة بعضهم الى بعض
ولان ذلك كان صوتا مولفا خرج من لسان وفم فهلا كانت
اصوات اجناس الطير والوحش والبهايم بيانا ومنطقا اذ قد علمت
انها مقطعة مصورة ومولفة منظمة وبها تفاهموا الحاجات
وخرجت من فم ولسان فان كنت لا تفهم من ذلك الا البعض
فكذلك تلك الاجناس لا تفهم من كلامك الا البعض وتلك الاقدار
من الاصوات المولفة هي نهاية حاجاتها والبيان عنها وكذلك
اصواتك المولفة هي نهاية حاجاتك وبيانك وعلى انك قد تعلم
الطير الاصوات فتتعلم وكذلك تعلم الانسان فيتعلم كتعليم
الصبي والعجمي والفرق الذي بين الانسان والطير

ان ذلك المعنى منها يسمى منطقا وكلاما على التشبيه بالناس
وعلى السبب يجرى والناس ذلك لهم على كل حال وكذلك الشاعر الذى
وصفها بالعقل انما قال ذلك على التشبيه فليس للشاعر اطلاق هذا الكلام
لها وليس لك ان تمنعها ذلك من كل جهه ۔ فافهم فهمك الله فان الله
قد امرك بالتفكر والاعتبار وبالتعرف والاتعاظ وقد قال
الله مخبرا عن سليمن يا ايها الناس علمنا منطق الطير فجعل لها منطقا ۔
وخص الله سليمن بان فهمه معانى ذلك المنطق واقامه فيه مقام
الطاير من الطاير وكذلك لو قال علمنا منطق البهايم والسباع لكان
ذلك آيه وعلامه وقد علم الله اسمعيل منطق العرب بعد ان كان
ابن اربع عشره سنه فلما كان ذلك على غير التلقين والتاديب
والاعتياد والترتيب والمنشا صار ذلك برهانا ودلاله واعجوبه
وآيه ۔ وقال عبد الله بن عباس وذكر عمر بن
الخطاب فقال كان كالطاير الحذر فشبه حزم عمر وتخوفه من
الخطا وحذره من الخدع بالطاير الحذر ۔

وقال ابن مقبل ۔

ولا اقوم على المولى فاشتمه ولا يخرقه نابى ولا ظفرى ۔
ولا تجحنى الموماة اركبها اذا تجاوبت الاصدآء بالسحر ۔

فجعلها متجاوبه ۔ وقال الطرماح بن حكيم وذكر تجاوب
الديكه كما ذكر ابن مقبل تجاوب الاصداء فقال

فيا صبح كمش غبر الليل مصعدا ابتم ونبه ذا العفاء الموشح ۔
اذا صاح لم يخذل وجاوب صوته حماش الشوى يصدحن من كل مصدح ۔

وابو عبيده عن ابى عمرو بن العلاء قال خطب ابن الزبير خطبه فاعترض له
رجل فاذاه بكلمه ثم طاطاء الرجل راسه فقال ابن الزبير اين
المتكلم فلم يجبه فقال ماله قاتله الله ضبح ضبحه الثعلب
وتبع تبعه القنفذ ۔ وقال ابن مقبل ۔

ولا اتبع الجارات بالليل قابعا قبوع القرنبى اخلفته مجاحره ۔

باب ما جاء فى الشعر من
اجناس الطير وغير ذلك من الحيوان

قال ابو عبيده تسلح الحبارى على الصقر وذلك من احد سلاحها
وهى تعلم انها تدبق جناحيه وتكتفه حتى تجتمع عليه الحباريات
فينتفن ريشه طاقه طاقه فيموت الصقر والحبارى اذا تحسرت فابطا
نبت ريشها وهى لا تنهض بالشكير فربما طار صويحباتها اذا تقدم
نبت ريشها قبل نبت ريش تلك الحبارى فعند ذلك تكمد حزنا حتى
تموت كمدا ولذلك قال ابو الاسود الدئلى ۔

زيد ميت كمد الحبارى اذا طعنت مليحه او تلم ۔

وليس فى الطير اسرع طيرانا منها لانها تصاد عند نا بظهر البصره فيوجد
فى حواصلها حبه الخضراء غضه طريه وبينها وبين مواضع ذلك الحب
بلاد وبلاد ولذلك قال بشر بن مروان فى قتل عبد الملك عمرو بن سعيد

كان بني مروان اذ يقتلونه • بغاث من الطير اجتمعن على صقر •
وبغاث الطير ضعاف الطير وسفلتها من العظام الابدان والخشاش
مثل ذلك الا انها من صغار الطير • وانشد ابو عبيدة قول الشاعر

تفسير البغاث

• سالت الناس عن انس فقالوا • باندلس واندلس بعيد •
• كاني بعد سكن مضرحي • اصاب جناحه عنت شديد •
• فقد طمعت عتاق الطير فيه • وكانت عن عقيرته تحيد •

وقال الذكواني

• بغاث الطير تعرف قانصيها • وكل مكتبر منها الهيد •

يقول لكل جنس من الجوارح ضرب من الصيد • وضرب من الطلب • فالصيد
منها يعرف ذلك • فيجعل المهرب من الاخر ثم ذكر انها تعرف الصايد
المعتل من الصحيح • وهو معنى الخزيمي حيث يقول

• ويعلم ما ياتي وان كان طايرا • ويعلم اقدار الجوارح والبغث •

وليس قوله البغث يريد به جمع ابغث • وقال الاول

• بغاث الطير اكثرها فروخا • وام الباز مقلاة نزور •

وانشدني ابن يسير

• وبالجد طورا ثم بالحس تارة • كذاك جميع الناس في الجد والطلب •

والجد مفتوح الجيم • يقول الطير كالناس • فمرة تصيد بالحظ وبما يتفق
لها • ومرة بالحيلة والطلب • وقال بشار بن برد

• ويجده ينقلب العصفور •

قال وقال زاهر لصبيانه • يرزقكم الذي يرزق عصافير الدور •
وقال صالح المري • تغدو الطير خماصا • وتروح شباعا •
واثقة بان لها في كل غدوة رزقا لا يفوتها • والذي نفسي بيده
ان لو غدوتم على اسواقكم على مثل اخلاصها لرجعتم ودينكم
ابطن من بطون الحوامل ه وقال اعشى همدان

• قالت تعاتبني عرسي وتسالني • اين الدراهم عنا والدنانير •
• فقلت انفقتها والله يخلفها • والدهر ذو مرة عسر وميسور •
• ان يرزق الله اعداي فقد رزقت • من قبلهم في مراعيها الخنازير •
• قالت فرزقك رزق غير متسع • وما لديك من الخيرات قطمير •
• وقد رضيت بان تحيا على رنق • يوما فيوما كما تحيا العصافير •

وانما خص العصافير بقلة الرزق • لانها لا تتباعد في طلب الطعم • والاوكار
السباع ووحش الطير كلها تغدو خماصا • وتروح بطانا • وقال لبيد

• فان تسلينا فيم نحن فاننا • عصافير من هذا الانام المسحر •

وقال

• عصافير وذبان ودود • واجرأ من مجلحة الذياب •

ولولا ان تفسير هذا قد مر في باب القول في العصافير من كتاب الحيوان •
لقلنا في ذلك ه

باب ذكر اختلاف طبايع
الحيوان • وما يعتريها من الاخلاق ه

الذئب لا يطمع فيه صاحبه فاذا دمي وثب عليه صاحبه فاكله
واذا عض الذئب شاة فافلتت منه بضرب من الضروب فان عادة الغنم اذا
وجدت ريح الدم ان تشم موضع انياب الذئب وليس عندها عند ذلك
الا ان ينضم بعضها الى بعض ولذلك قال جرير لعمر بن لجاء التيمي

فلا يضغمن الليث تيما بغرة وتيم يشمون الفريس المنيبا

فذكر انهم كالغنم في العجز والجبن واذا دمي الحمار
القى نفسه الى الارض وامتنع ممن يريده بالعض وبكلما قدر عليه
غير انه لا ينهض ولا يبرح مكانه واذا اصاب الاسد
خدش او شحطة بعد ان يدمي مكانه فان ذباب الاسد يلح
عليه ولا ينقلع عنه ابدا حتى تقتله وللاسود ذبابان على حدة
وكذلك الكلاب وكذلك الحمير وكذلك الابل وكذلك
الناس واذا دمي الانسان وشم الذئب منه ريح الدم فما اقل
من ينجو منه وان كان اشد الناس بدنا وقلبا واتمهم سلاحا واثقفهم
ثقافة واذا دمي النمر استكلب فخافه كل شيء كان
يسالمه من كبار السباع كالاسود والنمور والببر على خلاف
جميع ما حكينا واذا اصاب الحية خدش فان الذر مشهو
يطالبه اشد الطلب فلا يكاد ينجو ولا يعرف ذلك الا في القرط
واذا عض الانسان الكلب الكلب فان الفار يطالبه ليبول عليه غريبة
وفيه هلكته فهو يحتال له بكل حيلة وربما اغد

العير

البعير فلا يعرف ذلك الجمال حتى يرى الذبان يطالبه واذا
وضعت الذئبة جروها فانه يكون حينئذ ملتزق الاعضاء امعط
كانه قطعة لحم تعلم الذئبة ان الذر يطالبه فلا تزال
رافعة له بيديها ومحولة له من مكان الى مكان حتى تفرج
الاعضاء ويشتد اللحم واذا وضعت الهرة جروها
فان طرحوا لها لحما من ساعتها او دية او بعض ما يشبه ذلك فاكلته
لم تكد تاكل اجراءها لان الهرة يعتريها عند ذلك جوع وجنون
وخفة والاجناس التي تحدث لها قوة على غير سبب
يعرف في تقدير الراي منها الذئب الضعيف الواثب على ذئب القوي
اذا راى عليه دما والهرة اذا سفدها الهر فانها عند ذلك تشتد
عليه وهي وانقه باستخذائه لها وفضل قوتها عليه والجرذ
اذا خصي فانه ياكل الجرذان اكلا ذريعا ولا يقوم له شيء منها
فاما الفيل والكركدن والجمل عند الاغتلام وطلب الضراب
فانها وان تركت الشرب والاكل الايام الكثيرة فانه لا يقوم لشيء
منها شيء من ذلك الجنس وان كان قويا شابا آكلا شاربا
واما الغيران والغضبان والسكران والعاين للحرب فهم يختلفون
في ذلك على علل قد ذكرناها في القول في فضيلة الملك على
الانسان والانسان على الجان فان اردته فالتمسه هناك فان
اعادة الاحاديث الطوال والكلام الكثير مما يكد في السماع

ويهجن الكتب ه

باب يستدل به في حسن
الحيوان على حسن صنع الله واحكام تدبيره
وان الامور موزونة مقدرة ه

قالوا الاشياء البياضة طاير ومشترك وذو اربع ومنساح فمنها
ما يبيض في صدوع الصخر في اعالي الهضاب ومنها ما يعيش في الجحرة
كساير الحيات ه واما الدساس منها فانها تلد ولا تبيض وهي
لا ترضع ولا تلقم ولخفاش تلد ولا تبيض وترضع وهذا مختلف ه
والدجاج والحجل والقطا واشباه ذلك من الدبايح وغيرها افاحيصها
في الارض والحمام منها طوراني جبلي ومنها الوف اهلي
فالجبلي تبيض في اوكارها في مقاطع الجبال والاهلي منها
يبيض في البيوت والعصافير بيوتها في اصول اجذاع السقوف
والخطاطيف تتخذ بيوتها في باطن السقف في اوسع ذلك وامنعه
والرخم لا ترضى من الجبال الا بالوحشي منها ومن البعيد الا في
اسحقها وابعدها من مواضع اعدايها ثم من الجبال في رووس
هضابها ثم من الهضاب في رووس صدوعها ولذلك يضرب بامتناع
بيضها المثل ه فاما الورل والضفدع والسلحفاة والتمساح
وهذه الدواب المايية فانها تبيض في الارض وتحضن فاما
السراطين فان لها بيوتا في عرض شطوط الانهار والسواقي تمتلي

مرة ماء وتخلو مرة ومن الحيوان ما لا يحضن كالضبة لا تجثم
على بيضها ولكنها تغطيها بالتراب وتنتظر ايام انصداعها فاذا كان
موضع الفراخ والبيض من القطا واشباه القطا فهو افحوصة واذا كان
من الطير الذي يهيي ذلك المجتمع من العيدان والريش والحشيش
فهو عش واذا كان من الظليم فهو ادحي ذكر ذلك ابو عبيدة
والاصمعي وكلها وكون ووكور ووكنات وكرات
فالذي يبيض الكثير من البيض الذي لا يجوزه شي في الكثرة السمك
ثم الجراد ثم العقارب ثم الضبة لان السمكة لا تزق ولا تلقم
ولا تطعم ولا تحضن ولا ترضع فحين كانت كذلك كثر الله
ذرأها وعدد نسلها فكان ذلك على خلاف شان الحمام الذي
يزاوج اصناف الحمام ومثل العصافير والنعام فانها تزاوج فاما
الحمام فلما جعله الله يزق ويحضن ويحتاج الى ما يغتذيه ويغذو اولاده
ويحتاج الى الزق وهو ضرب من القي وفيه عليها وهن وشدة
ولذلك لا يرجل اذا كان زاقه فلما ان كانت كذلك لم يحمل
عليها اكثر من بيضتين وفرخين ولما كانت الدجاجة تحضن
ولا تزق وهي تاكل الحب وكل ما دب ودرج زاد الله في بيضها
وفي عدد فراريجها ولم يجعل ذلك في عدد اولاد السباع
والعقارب والضباب التي لا تحضن البتة ولا تزق ولا تلقم ولما
جعل الله اولاد الضبة لها معاشا زاد في عدد بيضها وفراخها

وصار ما يسلم منه كثيرا غير متجاوز للقدر، وكذلك الظليم لما
كان لا يزق ولا يحضن اتسع عليه مطلب الرزق من الحبوب
وأصول الأشجار، وجعلها تبيض ثلثين بيضة وأكثر،
وقال ذو الرمة

أذاك أم خاضب بالسي مرتعه أبو ثلثين أمسى فهو منقلب

وبيضها كبار، وليس في طاقتها أن تشتمل وتجثم إلا على القليل
منها، وكذلك الحية تضع ثلثين بيضة، ولها ثلثون ضلعا، وبيضها
وأضلاعها في عدد أيام الشهر، ولذلك قويت أضلاعها لكثرة عدد
الأضلاع، وحمل عليها في الحضن بعض الحمل إذ كانت لا ترضع،
والطائر الذي يلقم فرخه يكون أقوى من الطائر الزاق، وكذلك
من البهائم المرضعة، ولما كانت العصافير تصيد الجراد والنمل والأرضة
إذا طار، وتأكل الحب واللحم، وكانت مع هذا تلقم لم يكثر
لها من البيض كتكثير الدجاج، ولم يقلل كتقليل الحمام والعصافير بعض
فيها زواج، وكذلك النعام، وليس في شيء من ذوات الأربع زواج، وإنما
الزواج في اللاتي تمشي على رجلين كالإنسان والطير والنعام، وليس
هو في الطير بالعام، وهو في الحمام وأصناف الحمام من هذه المغنيات
والنوائح عام، وسبيل الحجل والقبج سبيل الديكة والدجاج
والدجاجة تمكن كل ديك، والديك يثب على كل دجاجة، وربما
غبر الحمام الذكر حياته لا يقمط إلا أنثاه، وكذلك الأنثى لا

تشبيه غريب

تدع إلا زوجها، وربما أمكنت، وفي الحمام من هذا الباب من
الاختلاف مثل ما في النساء والرجال، فأما الشفنين فإنه
لا يقمط غير أنثاه، وإن هلكت الأنثى لم يزاوج أبدا، وكذلك
الأنثى، فأما العلة في وضع القطا بيضها أفرادا، وخروج البيضة
من جهة أوسع الرأسين، واستدارة بيض الرق، واستطالة بيض
الحيات، وما يكون منها أرقط وأخضر وأصفر وأبيض وأكدر
وأسود، فإني لم أرض لهم في ذلك جوابا فأحكيه لك، قالوا
وإنما يعظم البيض على قدر جثة البائضة، وبيض الأنكا أصغر، فأما
كثرة العدد فيقال إنه كلما كان أكثر سفادا من أجناس كثيرة هو
أقل بيضا منها، والجراد والسمك لا حضن ولا زق ولا رضاع
ولا تلقيم، فحين جعل الفراخ كثيرة العدد، وكانت الأمهات
والآباء عاجزة عنها لم يجعلها محتاجة إلى الأمهات، فتفهم هذا التدبير
اللطيف والحكمة البالغة، قالوا الأقل في ذلك البازي
والأكثر في الذر والسمك، قال الشاعر

بغاث الطير أكثرها فروخا وأم البار مقلات نزور

وقال صاحب المنطق نسل الأسد أقل لأنه يخرج الرحم
فتعتقم، قالوا والفيلة تضع في سبع سنين، وأقل الخلق عددا ذرء
الكركدن لأن الأنثى تكون نزورا وأيام حملها كثيرة جدا من الحيوان
التي لا تلد إلا واحدا، فكذلك عظام الحيوان، وهي مع ذلك تأكل

وهي

ولدها لا يكاد يسلم منها الا القليل لان الولد يخرج نابت
الاسنان والقرن شديد الحافر ع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى
انبيائه عامة ونسله التأييد والعصمة ونعوذ به من كل سبب جانب
الطاعة ودعا الى المعصية انه قريب مجيب فعال يريد

قد قلنا في اول هذا الجزء وهو الجزء السابع من القول في الحيوان
في اجناس من اجناسها المجعولة فيها وفي معارفها المطبوعة عليها
وفي اعاجيب ما ركبت عليه من الدفع عن انفسها والتقدم فيما يحييها
وفي تحصينها عواقب امورها وكل ما خرقت من حوادث المكروه
عليها بقدر ما ينوبها من الآفات ويعتريها من الحاجات وانها تدرك
ذلك بالطبع من غير روية وبحس النفس من غير فكرة ليعتبر
معتبر ويتفكر متفكر وليتفي عن نفسه العجب وليعرف مقداره
من العجز ونهاية قوته ومبلغ نفاذ بصره وانه مخلوق مدبر
ومصرف ميسر وان الاعجم من اجناس الحيوان والاخرس من
تلك الاشكال يبلغ في تدبير معيشته ومصلحة شانه وفي كل ما هو بسبيله
ما لا يبلغه ذو الروية التامة والمنطق البليغ وان منها لما يكون
الطف مدخلا وادق مسلكا واصنع كفا واجود حنجرة واطبع

على

على الاصوات الموزونة واقوم في حفظ ما يعيشه طريقة الآن ذلك فيها
مفرق غير مجموع ومتقطع غير منظوم والانسان ذو العقل والاستطاعة
والتصرف والروية اذا علم علما غامضا وادرك معنى خفيا لم يكد
يمتنع عليه ما هو دون ذلك اذا قاس بعض امره على بعض واجناس
الحيوان قد يعلم بعضها علما ويصنع بكفه صنعة يفوق بها الانسان
ولا يهتدي الى ما هو دون ذلك بطبع ولا روية وعلى ان الذي
عجز عنه في تقدير العقول دون الذي قوي عليه

وانا ذاكر ان شاء الله ما في الفيلة من عجيب التركيب وغريب
التاليف والمعارف الصحيحة والاحساس اللطيفة وفي قبولها التثقيف
والتاديب وسرعتها الى التلقين والتقويم وما في ابدانها من الاعضاء
الكريمة والاجزاء الشريفة وكم مقدار منافعها ومبلغ مضارها
وبكم فضلت اجناس الحيوان وفاقت تلك الاجناس وما جعل الله فيها
من الآيات والبرهانات والعلامات النيرات التي جلاها العيون خلقه
وعرف بينها وبين عقول عباده وقيدها عليهم وحفظها لهم ليكثر لهم
من الادلة ويزيدهم في وضوح الحجة ويسخرهم لتمام النعمة
والذي ذكرها الله به في الكتاب الناطق والخبر الصادق وفي
الآثار المعروفة والامثال المضروبة والتجارب الصحيحة وما قالت
فيها الشعراء ونطقت به الخطباء وميزته العلماء وعجبت منه
الحكماء ومكانها عند الملوك وموقع نفعها في الحروب ومهابتها في

في العيون وجلالتها في الصدور وفي طول أعمارها وقوة أبدانها
وفي اعتزامها وتصميمها واحقادها وشدة اكترائها وطلبها بطوايلها
وارتفاعها عن ملك السقاط والحشوة وعن اقتناء الأنذال
والسفلة وعن انتخاصها في الثمن وعن ارتخاصها على الخسف و
ابتذالها واذلالها وعن امتناع طبايعها وتمنع غرايرها أن تصلح أبدانها
وتثبت أنيابها وتعظم جوارحها وتتسافد وتتلاقح إلا في معادنها وفي
بلادها وفي مناشيها ومغارس أعراقها مع التماس الملوك ذلك منها
وطمع القوام عليها بالتقرب بذلك منها حتى أعجزت الحيل وخرجت من
حد الطمع وعن الأخبار عن حملها ووضعها ومواضع أعضايها
والذي خالفت فيه الأشكال الأربعة التي تحيط بالجميع مما ينسلخ أو يعوم
أو يمشي أو يطير وجميع ما يتنقل عن أولية خلقه وما يبقى على
الطبايع الأول من صورته وعن ما يتنازعه من شبه الحيوان وما
يخالف فيه جميع الحيوان وعن القول في شدة قلبه وأسره وفي
جراءته على ما هو أعظم بدنا وأشد كلبا وأحد أظفارا وأذرب
أنيابا وهربه مما هو أصغر جرما وأكل حدا وأضعف أسرا وأخمل
ذكرا وعن الأخبار عن خصاله المذمومة وأموره المحمودة وعن
القول في لونه وجلده وشعره ولحمه وشحمه وعظمه وبوله
ونجوه وعن لسانه وفمه وعن أذنه وعينه وعن خرطومه و
غرموله وعن مقاتله ومواضع سلاحه وعن أدوائه ودوائه

وعن القول في أنيابه وسائر أسنانه وعظامه وفرق ما بين
عظامه وعظام غيره وعن مواضع عجزه وقوته
والقول في ألبانها وضروعها وعدد أخلافها وأماكن ذلك منها
وعن سلاجتها ومشيها وحضرها وسرعتها وخفة وطيها ولين
ظهورها والذاذ راكبها وعن ثبات خفها في الوحل والزلل
وفي الجدد والصعداء وعن أمن راكبها من العثار وكيف حالها
عند اهتياجها واغتلامها وعند سكونها وانقضاء أيام ذلك منها
وعن حكايتها وطربها وطاعتها لسواسها وفهمها لما يراد منها
وكيف جودة نظرها والفهم الذي يرى في طرفها مع الوقار والنبل
والإطراق والسكون ولم اجتمعت الملوك عربها وعجمها أسودها وأحمرها
على إجلالها والتزين بها والفخر بكثرة ما يتهيأ لهم منها حتى صارت
عندهم من أكرم الهدايا وأشرف الألطاف وحتى صار اتخاذها
مروة وعتادا وعدة ودليلا على أن مقتنيها صاحب حرب وفي
تفضيل خصال الحير على خصال البعير وفي أي مكان يكون
أنفع في الحرب من الفرس وأصبر عند العراك من النمر
وأقتل للأسد من الجاموس وأكلب من الببر إذا تعرم
وأشد من الكركدن إذا اغتلم حتى لا يبلغه مقدار ما يكون
من خيل النيل ومما يهيج الخلجان وعقبان الهواء وأسد الغياض
وقد جمع هرون مولى الأزد الذي كان يرد على الكميت يفخر بقحطان

وكان شاعر أهل المولتان ولا أعرف من شأنه أكثر من اسمه
وصناعته وقد قال في صفات الفيل أشعارا أذكر فيها كثيرا مما
قدمنا ذكره وهو قوله

أليس عجيبا بأن تلقه له فطن الانس في جرم فيل

وأنشدني هذا البيت صفوان بن صفوان الانصاري وكان من
زوار داود بن يزيد

أليس عجيبا بأن تلقه غليظ الرواء لطيف الحويل
وأطرف من قشة زولة بحلم بجل عن الخنشليل
وأقصر مختلف خلقه طويل النيوب قصير النصيل
ويلقى العدو بناب عظيم وجوف رحيب وصوت ضئيل
وأشبه شيء إذا قسته بخنزير بر وجاموس غيل
تنازعه كل ذي أربع فما في الأنام له من عديل
ويخضع لليث ليث العرين بأن ناسب الجون من اس ميل
ويعصف بالببر بعد النمور كما تعصف الريح بالعندبيل
ويشخص يرى يده انفه فان وصلوه بسيف صقيل
وأقبل كالطود هادي الخميس هو اشبير أمام الرعيل
ومر بسيل كسيل الأتي بخطو خفيف وجرم ثقيل
فإن شمته نادى في هوله شناعة أذنين في رأس غول
وقد كنت أعددت هذا الكثير التهيب للزندبيل

فلما احس به في العجاج أتانا الإله بفتح جميل
وطاد وراغم فياله بقلب نخيب وجسم نبيل
فسبحان خالقه وحده إله الأنام ورب الفيول

ذكر صفوان بن صفوان أن هرون هذا خبا معه هرا تحت
حضنه ومشى بسيفه إلى الفيل وفي خرطومه السيف والفيالون
يدمرونه فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فأدبر هاربا وتساقط
من فوقه وكبر المسلمون وكان ذلك سبب الهزيمة فذكر الهر في هذا
الشعر كما كتبته لك أما قوله بحلم بجل عن الخنشليل
فقد قال الانصاري في صفة النحل

تليص العشاء بأذنابها وفي مدر الأرض عنها فضول
ويشبعها المص مص الثرى إذا جاعت الشاة والخنشليل

وهذا غير قوله

قد علمت جارية عطبول أني بنصل السيف خنشليل

وأما العندبيل فهو طائر صغير جدا ولذلك قال الشاعر

وما كان يوم الريح أول طائر يروغ كروغ العندبيل إلى الوكر

لأن الريح تعصف به من صغره فهو يعرف ذلك من نفسه فإذا قويت
الريح دخل جحره ويقولون عندليب وعندبيل وكل صواب ولذلك قال
هرون

ويعصف بالببر بعد النمور كما يعصف الريح بالعندبيل

وسنخبر عن تفسير ما في هذه القصيدة مفرقا اذ لم نقدر عليه مجموعا
متصلا ولو امكن ذلك لكان احسن للكتاب واصح لمعناه وافهم
لمن قراه • ذكر بعض الفيالين ان الفيلة تضع لسبع
سنين ولدا مستوي الاسنان • وانهم يرصدون في ذلك الوقت من الوحشية
منها • ويحتالون في اخذ الولد • وان ذلك الولد يعيش في ايديهم ما بين
الثمانين سنة الى المائة • وان عمر الوحشية اطول • وان كل شي عندهم
منها اليوم بالعسكر اناث • وان الموت بالعراق الى المذكورة اسرع • وان
نابه لا يطول عندنا • وانهم يعملون من جلودها ترسة اجود من متاع
الجواميس • ومن الخيزران • ومن الدرق • والجحف المتخذة من جلود الابل •
ومن هذه المعقبة المطلية • ومن جميع ما يولف من انواع الخشب والجلود
التي قد اطيل انقاعها في اللبن • ومن كل تبتي وصيني • وذكر ان لها
مروجا • وان المروج اصلح لها من القرى • ومواضعها مع الوحش اصلح لها
من المروج • وذكر رسولي الى سايسها انه اتبعها الى دجله
وان بعض الغوغا صاح بها يا حجام بابك • وهذا الكلام اليوم ظاهر
على السنة الجهال • وان فيلا منها ركله برجله ركلة صك لها
الحايط حتى خيف عليه منها • وانه راى فيها الانكار لذلك القول •
وان الفيال كان يحثها على الانتقام لما صاح بها • واذا عرف
الكلب اسمه • وكذلك السنور • وكذلك الشاه • والفرس • والطفل •
والمجنون المصمت الجنون • وعرفت الناقة فصل ما بين حل وجاه •

في عمر الفيل

وعرف الحمار الصوت الذي يلتمس به وقوفه • والذي يلتمس به سيره •
وعرف الكلب مخاطبة الكلاب • والببغاء منافاة المكلم له •
فجايز ان يكون الفيل بفضل فطنته ان يفهم عن الفيال الصعاقدي ذلك
فاذا امره بضرب انسان عند ضرب من الكلام استعاد ذلك وادامه
لم ينكر ان يعرفه على طول الترداد • قالوا واذا احتملت المراه شيا
من نجو الفيل بعد ان يخلط به شي من عسل فانها لا تحبل ابدا • قالوا
ومما يوكد ذلك انك لو علقت على شجره من نجوه شيا ان تلك
الشجره لا تحمل في تلك السنة • قالوا ورواي البدد بالهند يفعلن
ذلك استبقاء للطراء وللشباب • ولانها اذا كانت موقوفة على جميع
الاجناس من الرجال كانت اسرع الى الحبل لانها لا تعدم موافقا
لطبعها • واذا احبلت وارضعت مرارا ابطلت • وليس هذا بعجب
لانهم يزعمون ان صاحب الحصاة اذا اخذ روث الحمار حين
يروثه حارا فعصره وشرب ماءه انه كثيرا ما يبول تلك الحصاة
وفي ماء روث الحمار ايضا دواء للضرس الماكول • وقال الاصمعي
سالت بعض الاكلة ممن كان يقدم على ميسرة التراس كيف تصنع
اذا جهدتك الكظة • والعرب تقول اذا كنت بطنا فعد نفسك زمنا •
قال اخذ روث حارا فاعصره ثم اشرب ماءه فاختلف عنه مرارا
فلا البث ان يلحق بطني بصلبي فاشتهي الطعام • والمراه من نسايبنا
اليوم اذا استحيضت استقت منقالا من اثمد لانها عندهن

نجو الفيل يمنع حبل النساء

علاج صاحب الحصاة

اذا فعلت ذلك لم تلد وانا رايت امراة قد فعلت ذلك ثم ولدت
وخرء الكلب اذا كان الجعر ابيض اللون وكان عن اكل الكلب العظام
دون اللحم فهو عجب لصاحب الذبحة وكذلك رجع الانسان
وخرء الفار يكون شيافا للصبيان يحملونه اذا استرخى بطن احدهم
فان كان من خرء الجرذان وكان عظيما كان الواحد منه هو الشياف
ويصلح ايضا خرء الفار لداء الثعلب وهو القرع الذي يعرض لشعر
الراس وخرء الحمام الاحمر ايضا من المبولات للرمل والحصى
يفتح منه وزن درهم مع مثله دار صيني ومما قراه الناس من الامثال
في الكتب في شان الفيل التي وضعوها في كتاب كليلة ودمنة فمن ذلك
قوله الا ترى ان الكلب يبصبص بذنبه مرارا حتى تلقى له الكسرة
وان الفيل المغتلم يعرف قوته وفضله فاذا قدم اليه علفه مكرما
لم ياكل حتى يمسح ويتملق قال وقيل في اعمال ثلثة
لا يستطيعها احد الا بعونة من ارتفاع همة وعظم خطر منها عمل
السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو
وقالت العلماء في الرجل الفاضل انه لا ينبغي ان يرى الا في
مكانين ولا يليق به غيرهما اما مع الملوك مكرما واما مع
النساك متبتلا كالفيل الذي انما بهاؤه وجماله في مكانين اما في برية
وحشيا واما مركبا للملوك قال وقد قيل في اشياء ثلثة
فضل ما بينها متفاوت فضل المقاتل على المقاتل وفضل الفيل على الفيل

يفتح

وفضل العالم على العالم وقال في كلام آخر فان لم تنجع
الحيلة فهو اذا القدر الذي لا يدفع فان القدر هو الذي يسلب الاسد
قوته حتى يدخله التابوت وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر
الفيل المغتلم وهو الذي يسلط الحواء على الحية ذات الحمة فينزع
حمتها ويلعب بها قالوا ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذي
يغنيه وطمحت عيناه الى ما فوق ذلك ولم ينظر الى ما يتخوف امامه
كان مثله مثل الذباب الذي لم يرض بالشجر والرياحين حتى يطلب
الماء الذي يسيل من اذن الفيل المغتلم فيضربه باذنه فيهلك
وقال فاقام الجمل مع الاسد حتى اذا كان ذات يوم
توجه الاسد نحو الصيد فلقيه فيل فقاتله قتالا شديدا فانفلت
الاسد مثخنا مثقلا يسيل دما قد جرحه الفيل بانيابه فكان لا
يستطيع ان يطلب صيدا فلبث الذيب والغراب وابن آوى اياما
لا يجدون شيئا يعيشون به من فضول الاسد وقال وكيف يرجوا
اخوانك عندك وفاء وكرما وانت قد صنعت بملكك الذي كرمك
وشرفك ما صنعت بل مثلك في ذلك كما قال التاجر ان ارضا تاكل
جرذانها مائة منا حديد غير مستنكر ان تخطف بزاتها الفيلة
قال وقال الجرذ للغراب اشد العداوة عداوة الجوهر
وعداوة الجوهر منها عداوة متجازية كعداوة الفيل والاسد
فانه ربما قتل الاسد الفيل وربما قتل الفيل الاسد ومنها عداوة

انواع العداوة

انما ضرها من احد الجانبين على الآخر لعداوة ما بيني وبين السنور
فان العداوة بيننا الضر مني عليه ولكن الضر منه علي وقال
فان الكريم اذا عثر لم يستقل الا بالكرام كالفيل اذا وحل
لم تستخرجه الا الفيلة وسنذكر عداوة الشيطان
للانسان والانسان للشيطان وهما عداوتان مختلفتان وعداوة
الله للكافر وعداوة الكافر لله وهاتان العداوتان غير تلك
وهما في انفسهما مختلفتان وهما والتي قبلهما مخالفة لعداوة
العقرب للانسان وعداوة العقرب مخالفة لعداوة الحية وعداوة
الانسان لهما مخالفة لعداوة كل واحد منهما للانسان وعداوة
الذئب والاسد والانسان خلاف عداوة العقرب والحية وعداوة
النمر للاسد والاسد للنمر مخالفة جميع ما وصفنا ومسالمة الببر
للاسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب وشان الحيات والورغ
خلاف شان الخنافس والعقارب وعداوة الانسان للانسان
خلاف ذلك كله وابن عرس اشد عداوة للجرذان من السنور
وعداوة البعير للبعير والبرذون للبرذون والحمار للحمار شكل واحد
وعداوة الذئب للذئب خلاف ذلك والشاة من الذئب اشد فرقا
منها من الاسد والنمر والببر وهي اقوى عليها من الذئب وفرق
الدجاج من ابن آوى اشد من فرقها من الثعلب والحمام اشد فرقا
من الشاهين منه من الصقر والبازي واسباب عداوات

سبب العداوة

الناس ضروب منها المشاكلة في الصناعة ومنها التقارب في
الجوار ومنها التقارب في النسب والكثرة من اسباب التقاطع
في العشيرة والقبيلة والساكن عدو للمسكن والفقير عدو للغني
وكذلك الماشي والراكب وكذلك الفحل والخصي ونغضاء
السوقة موصولة بالملوك وكذلك المعتق عن دبر والموصى له
بالمال الرغيب وكذلك الوارث والموروث وجميع هذا كله تفسير
ولكنه يطول وذكر صاحب المنطق عداوة الغراب
والحمار والنحويون ينشدون في ذلك قول الشاعر
عاديتني لا زلت في تباب عداوة الحمار للغراب
ولا ادري من اين وقع هذا اليهم وذكر ايضا عداوة البوم
والغداف وكذلك عداوة عصفور الشوك للحمار وفي هذا كلام
كثير قد ذكرنا بعضه في اول كتابنا هذا من كتاب الحيوان
ثم رجعنا الى الاخبار عن الامثال قالوا اكيس الاقوام من لا يلتمس
الامر بالقتال ما وجد عن القتال مذهبا فان القتال انما النفقة
فيه من الانفس وسائر الاشياء انما النفقة فيها من الاموال فلا يكونن
قتال البوم من رايك فان من يراكل الفيل يراكل الحين قال
وقال فاجابه الجرذ فقال انه رب عداوة باطنة ظاهرها صداقة
وهي اشد ضررا من عداوة الظاهر ومن لم يحترس منها وقع موقع
العجل الذي يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس

يمكن ان شاء في حق بعض الامر ١٢

قال فاعلم ان كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة والمكابرة
حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الاهلي
وقال فان العشب كما قد رايت في اللين والضعف وقد يجمع
منه الكثير فيصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل المغتلم
قال وقالوا نريد احب بنيك اليك واكرمهم عليك ونريد
كاتبك صاحب سرك والسيف الذي لا يوجد مثله والفيل
الابيض الذي لا تلحقه الخيل الذي هو مركبك في القتال ونريد
الفيلين العظيمين اللذان يكونان مع الذكر وقد سمعنا في
الحديث والاخبار عن ايام القادسية ويوم جسر مهران وقس
الناطف وجلولا ويوم نهاوند بالفيل الابقع والفيل الاسود والفيل
الابيض والناس لم يروا بالعراق فيلا ابرص ولا فيلا اشعر والفيلة
التي كانت مع الفرس حكمها حكم الفيلة التي كانت عند امير المومنين
المنصور وعند ساير الخلفاء من بعده وكلها اجرد مغضنة ولم نلق
احدا راها وحشية قبل ان تصير في القرى والمواضع التي تذكرها وقد
علمنا ان الطاير الصيود من الجوارح لو اقام في بلاده مايه عام لحدث
لفرخه زوايد وعير العانة اذا اقام في غير بلاده احتاج الى الاخذ من حافره
والى ان يختلف به الى البيطار والطاير الوحشي من هذه المغنيات
والنوايح لو اقام عندنا دهرا لم يصوت اذا اخذناه وقد كره وكذلك
المزاوجة والتعشيش والتفريخ قال وكل ملك

كان يصل الى ان تكون عنده فيلة فانه كان لا يدع الاستكبار
منها والتجمل بها والتهويل بمكانها عنده ولا يدع ركوبها في الحروب
وفي الاعياد وفي يوم الزينة وقد كانت حمير والتبابعة
والمقاول والعباهلة من ملوكهم والمكسوم من ملوك الحبشة وعند
ملوك سبا مقربة مكرمة يدل على ذلك الاشعار المعروفة
والاخبار الصحيحة الا ترى ان الاعشى ذكر مارب
وملك سبا وسيل العرم فقال

ففي ذاك للموتسي اسوة ومارب عفى عليه العرم
رخام بنته لهم حمير اذا جاء ماوهم لم يرم
فاروى الزروع واعنابها على سعة ماوهم قد قسم
وطار الفيول وفيالها بتيهاء فيها سراب يطم
فكانوا بذلكم حقبة فمال بهم جارف منهدم
فطاروا سراعا وما يقدرون منه لشرب صبي فطم

كان الاقيشر القيني مع الحجاج يقاتل ابن الزبير فلما راى البيت يرمى
بالمنجنيق انشا يقول

ولم ار جيشا غر بالحج مثلنا ولم ار جيشا مثلهم كلهم خرس
دلفنا لبيت الله نرمي ستوره باحجارنا زفن الولايد في العرس
دلفنا لهم يوم الثلثاء من منى بجيش كصدر الفيل ليس له راس

فلما فرغ وعاد بقصر مروان وكتب له عبد الملك الى الحجاج كما اخبره

فيه وفوض الامر اليه قال

وقد علمت لو ان العلم ينفعني ان انطلاقي الى الحجاج تغرير

مستحقبا صحفا تدمى طوابعها وفي الصحايف حيات مناكير

لئن رحلت الى الحجاج معتذرا اني لاحمق من تجري به العير

كل حيوان في الارض ذو لسان فاصل لسانه الى داخل وطرفه الى خارج الا الفيل فان طرف لسانه الى داخل واصله الى الخارج وتقول الهند لولا ان لسان الفيل مقلوب ثم لقن الكلام لتكلم وكل سمك يكون في الماء العذب فان له لسانا ودماغا الا ما كان منها في الماء الملح فانه ليس لسمك البحر لسان ولا دماغ وكل شي ياكل بالمضغ دون الابتلاع فانه انما يحرك فكه الاسفل الا التمساح فانه يحرك فكه الاعلى وكل ذي عين من ذوات الاربع من السباع والبهايم الوحشية والاهلية فانما الاشفار لجفونها الاعالي الا الانسان فان الاشفار للاعالي والاسافل وكل حيوان ذي صدر فانه ضيق الصدر الا الانسان فانه واسع الصدر وليس لشي من ذكورة جميع الحيوان ثدي وانما الثدي في صدره الانسان والفيل

لسان الفيل مقلوب

وقال ابن مقبل

وليلة مثل ظهر الفيل غيرها طلس النجوم اذا اغبر الدياميم

الفيل اضخم الحيوان وهو مع ضخمه املح واظرف واحلى واظرف وهو يفوق في ذلك كل خفيف الجسم رشيق الصنعة واما الحكاية

من جميع الحيوان في الكلب والقرد والدب والشاة المكية وليس عند الببغاء الا حكاية صور الاصوات فصار مع غلظه وضخمه وفخامته ارشق مذهبا وادق ظرفا واظهر طربا وهذا من اعجب العجب وما ظنكم بعظم خلق ربما كان في نابيه اكثر من ثلث مائة منا فقال من يعارضهم قد اجمعوا على ان اعظم الحيوان خلقا السمكة والسرطان وحكوا عن عظم بعض الحيات حتى الحقوه بهما واكثروا في تعظيم شان التنين فليس لكم ان تدعوا في الفيل ما ادعيتم قال صاحب الهند والمعتبر عن خصال الفيل اما الفيل وعلو سمكه وعظم جفرته واتساع صهوته وطول خرطومه وسعة اذنه وكبر غرموله مع خفة وطيه وطول عمره وثقل حمله وقلة اكترائه لما وضع على ظهره فقد عاين ذلك من الجماعات ما لا يستطيع الرد عليهم الا جاهل او معاند واما ما ادعيتم من عظم الحية وانا متى مسحنا طولها وثخنها واخذنا وزنها كانت اكثر من الفيل فانا لم نسمع هذا الا في احاديث الرقايين واكاذيب الحوايين وتزيد البحريين واما التنين فانما سبيل الايمان به سبيل الايمان بعنقاء مغرب وما رايت مجلسا قط جرى فيه ذكر التنين الا وهم يكونون ويكذبون الخبر عنه الا انا في الفرط ربما راينا بعض الشاميين يزعم ان التنين اعصار فيه نار يخرج من قبل بحار البحر في بعض الزمان

اعظم الحيوان السمكة والسرطان

التنين

فلا يمرّ بشيء الّا احرقه فسمّى ذلك ناس التنّين ثم جعلوه في صورة
حيّة • وامّا السرطان فلم نر احدًا قطّ ذكر انّه عاينه • السرطان
وان كنّا الى قول بعض البحريّين نرجع فقد زعم هولا انّهم قربوا
الى بعض الجزائر وفيها الغياض والاودية والاخاديد وانّهم في بعض
ذلك اوقدوا نارًا عظيمة فلمّا وصلت الى ظهر السرطان لكنّه ماج بهم غريب هذه حكاية السلحفاة البحرية
وبكلّ ما عليه من النبات حتى لم ينج منهم الّا الشريد • وهذا
الحديث قد طمّ على الخرافات والترّهات وحديث الخلق •
فامّا السمك فلعمري انّ السمكة التي يقال لها البال لفاحشة العظم • السمك الذي يقال له البال
وقد عاينوا ذلك عيانًا وقتلوه يقينًا ولكن احسبوا انّ الشان في
البال على ما ذكرتم فهل علمتم انّ فيه من الحسّ والمعرفة واللقن
والحكاية والطرب وحسن المواتاة وشدّة القتال والتمهّد تحت
الملوك • وغير ذلك من الخصال فيه كما وجدنا ذلك واكثر منه
في الفيل وهل رغبت في صيده الملوك او احتالت له التجار او تمنّى
الظفر باجزائه بعض الاطبّاء وهل يصلح لدواء او غذاء او ليس انّما غاية
البحريّين ان يسلموا من عبثه ان هجموا عليه نائمًا او غافلًا حتى ينفر
ويفزع ويتبع بقرع العصيّ واصطكاك الخشب • وانّما قدّمنا خصال
الفيل على خصال الحيوان الذي في كفّه ومقاربة الصنعة العجيبة او
يكون فيه من طرف المعرفة وغريب الحسّ ونفوذ البصر او بعض ما فيه
من الجمال والحسن ومن القنابر ومن التحاسين والوشي والتلاوين
التقاويح

بالتأليف العجيب والتنضيد الغريب • او بعض ما في حنجرته من الاصوات
الملحّنة والمخارج الموزونة والاغاني الداخلة في الايقاع الخارجة من
سبيل الخطا • ممّا يجمع الطرب والشجا وممّا يفوق النوائح ويروق
كلّ مغنّ حتى يضرب بحسن تغريده وصفاء صوته وشجا مخرجه المثل
حتى يشبّه به صوت المزمار والوتر • وامّا بعض ما يعرف بالمكر
والختل وبالكيس والروغان وبالفطنة والخديعة والرفق
والتكسّب والعلم بما يعيشه والحذر ممّا يعطبه وتأتّيه لذلك
وحذقه به • وامّا بعض ما يلوم في طريق الثقافة يوم الثقاف
والبصر بالمشاولة والصبر على المطاولة والعزم والروغان والكرّ
والجولان ووضع تلك التدابير في مواضعها حتى لا تطيش له طعنة

ولا تخطي له وثبة • وامّا بعض ما يعرف بالنظر في العاقبة
وباحكام شان المعيشة والاخذ لنفسه بالثقة وبالتقدّم في حال
المهلة والادّخار ليوم الحاجة والاحتكار التي تدّخر لانفسها اليوم
العجز عن الطلب والتكسّب • مثل الذرّة والنملة والجرذ والفارة
كنحو العنكبوت والنحل • واذا كان ليس للبدن الاعظم وان
كان العظم قد يدخل في باب من ابواب المفاخر فلا ينبغي لاحد ان
يشاهد به الابدان التي لها الخصال الشريفة ويناضل به ذوات المفاخر
العظيمة • فما ظنّك ببدن قد جمع مع العظم من الخصال الشريفة ما يفي
الطوامير الكثيرة ويستغرق الاجلاد الواسعة •

وقد علمنا ان من جهل هذه السمكة بما يعيشها ويصلحها انها شديدة
الطلب والشهوة لاكل العنبر والعنبر اقتل للبال من الدفلى للدواب
فاما اذا اصابوه ميتا استخرجوا من جوفه عنبرا فاسدا وما فيه من
النعلبع الا ان دهنه يصلح لتمرين سفن البحر فسمعني غانم العبد يوما
وانا احكي هذا الكلام وكان من اموق الناس وارقعهم رقاعة مع
تيه وتخيط على الناس من حمقه انه هندي وهو يتعصب على الفيل
فقال لي ما تقول الجنس في الحوت الذي يحمل الارض اليس اعلى
امرا واعم نفعا قلت له يا هالك ان مدار هذا الكلام انما يقع على
الاقسام الاربعة من جميع الحيوان المذكورة في الماء والارض
والهواء كالذي ينسلخ من اجناس الحيات والثعبان وكالذي
يمشي من الدواب والناس وكالذي يطير من اصناف الطير وبغاثها
وخشاشها وهمجها وكالذي يعوم كالسمك وكل ما يعايش
السمك فاما الحوت الذي تكون الارض على ظهره فنحن قد
علمنا ان في الملائكة من هو اعظم من هذا الحوت مرارا ولولا مكان
من حضرنا الان ممن لا يتساهل الجواب وهذا مقدار معرفته
قالوا والفيل اقوى من جميع الحيوان ان حمل الاثقال ومن قوة
عظمه وعصبه انه يمر خلف القاعد مع عظم بدنه فلا يشعر
بوطئه ولا يحس بمره لاحتمال بعض بدنه لبعض وهذه اعجوبة
اخرى وليس في حبال اناث الحيوان اطول مدة حبل من الفيل

العنبر قاتل للدواب

[illegible]

تحفة الاعجوبة في الفيل

والكركدن فانه مذكور في هذا الباب والفيل يزيد عليه
في قول بعضهم فاما الهند ففتنتهم بالكركدن اشد من فتنتهم بالفيل
فاما ما كان دون ذلك من اجناس الحيوان فاطولها حملا الحافر
والخف ولا يزيدان على السنة الا ان تستجل الانثى وتجر اياما
فاما الظلف فعلى ضربين فما كان منها من البقر فان مدة حملها
وحمل الظباء تسعة اشهر وما كان من الغنم فان حملها خمسة اشهر
وقد ذكرنا حال اجناس الحيوان في ذلك فيما سلف من كتابنا هذا
قالوا والفيل اهونها في العين واجدر ان تحفظ ظهورها كالمناظر
والمسالح والارصاد وللفيل قتال بضرب بخرطومه وخبط بقوائمه
وكانت الاكاسرة ربما قتلت الرجل بوطء الفيلة وكانت قد
دربت على ذلك وعلمته فاذا القوا اليها الرجل تركت العلف
وقصدت نحوه فداسته ولذلك انشد العباس بن يعقوب
العامري لناهض بن ثومة العامري قوله

انا الشاعر الخطار من دون عامر وذو الضغم اذ بعض المحامين ناهش
بخبط كخبط الفيل حتى تركته اميم به مستند ميات نقارش

وانشد الاصمعي وابو عمرو لتميم بن ابي مقبل

بني عامر ما تامرون بشاعر تخير بايات الكتاب هجائيا
أأعفو كما يعفو الكريم فانني ارى الشعب فيما بيننا متدانيا
ام اخبط خبط الفيل هامة راسه بحرد فلا ابقي من الراس باقيا

وكانت الاكاسرة وهي الكسورة تودبها وتعودها وطء الناس
وخبطهم اذا القي تحت قوايمها بعض اهل الجنايات فكان ممن
رمي به تحت الفيلة النعمان بن المنذر وقال في ذلك الشاعر

نعمان بن المنذر القي تحت الفيلة

إن ذا التاج لا ابالك اضحى وذرا بيته نحور الفيول
إن كسرى عدا على الملك النعمن حتى سقاه ام البليل

وذكر الهيثم بن عدي عن ابي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن
عمير قال رأيت في ديوان معاوية بعد موته كتابا من ملك
الصين فيه من ملك الصين الذي على مربطه الف فيل وبنيت داره
بلبن الذهب والفضة والذي تخدمه بنات الف ملك والذي له نهران
يسقيان الالوة الى معوية قالوا ولما اراد كسرى قتل
زيوشت المغني لقتله فهلبذ المغني وامر ان يرمى به تحت الفيلة
وقال قتلت احسن الناس غناء واجودهم امتاعا للملك حسدا له
فلما سحبوه نحو الفيلة التفت الى كسرى وقال اذا قتلت زيوشت
وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن مطربك قال الخزة التي بقيت لك هي
التي انطقتك خلوا سبيله هـ

تعظم ملك الصين وافتخاره في كتابه

قصة باربد المغني

باب ما يدخل في
ذكر الفيل وفيه اخلاط من شعر
وحديث وغير ذلك هـ

قال رؤبة في صفة الفيل

أجرد كالحصن طويل النابين مشرف اللحي صغير الفقمين
عليه اذنان كفضل الثوبين

وانشد ابن الاعرابي
هو البعوضة ان كلفته كرما والفيل في كل امر اصله لوم

وقال اعرابي ووصف امراة له
لو اكلت فيلين لم تخش البشم

وقال اعرابي لبعض الاكرياء
لو تركب البختي ميلا لانحطم او تركب الفيل بها الفيل رزم

وحمل ناس ابا الحلال الهرادي على الفيل ايام الحجاج فتمنع وانشا يقول
أأركب شيطانا ومشيا وهضبة الا ان ذا يعم ذاك مضلل

قالوا والله لو علوته ما كان عندك الا كالبغل فلما علاه صاح الارض فلما
خافوا ان يرمي بنفسه وهو شيخ كبير انزلوه فقال بعد ذلك
في كلمة له

الارض

وما كان نجني يوم ذلك بغلة ولكن جلبا من رجيع السحايب

وقال
وما كنت يوم الفيل فوق مطية ولكن على وطفا بجون ربابها

وقال بعض المحدثين والمتلعبين في بعض النساء
ارادت مرة بيتا لها فيه تماثيل
فلما ابصرت ستر الوجهيه تهاويل

وفيه الفيل منقوشا وفي مشفره طول
قالت انزعوا الستر فلا ياكلني الفيل

وقال خلف بن خليفة الاقطع حين ذكر الاشراف الذين يدخلون على ابن هبيرة

وقامت قريش البطاح مع العصب الاول الداخله
يقودهم الفيل والزنديل وذو الضرس والشفة المايله

الفيل والزنديل ابان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن مروان وذو الضرس خالد بن سلمه المخزومي الخطيب وهو ذو الشفة قتل مع يزيد بن عمر بن هبيرة فيمن قتل وقد فسر خلف بن خليفة الفيل بن الزنديل ولم يفسر وقد اختلفوا في ذلك وسنذكره اذا جرى سببه ان شا الله

الفيل المعروف بهذا الاسم ويقال رجل فيل اذا كان في رايه فيالة والفيالة الخطاء والفساد ويسمون ايضا الرجل بفيل منهم فيل مولى زياد وحاجبه وفي انهار الفرات بالبصرة نهر يقال له فيل وبانان وموضع آخر يقال له فيلان وقد يعرض لقدم الانسان ورم جاسي حتى تعظم له قدمه وساقه وصاحبه لايبرا منه ويسمى ذلك الورم داء الفيل ويسمى الرجل بمعقل وهو ولد الفيل ولايسمون بزنديل وبعض العرب يقول للذكر من الفيلة فيل وللانثى فيلة كما يقولون اسد واسده وذيب وذيبة ولايقولون مثل ذلك

من يسمى فيل

داء الفيل

في تغلب وضبيع وامور غير ذلك الا ان يكون اسما لانسان وبعث رجل من العرب بديلا مكانه في بعض البعوث وانشا يقول

اذا ما اخشبت الشقرا ميلا فهان على ما لقي البديل
يشنفها ويجنبها بعيرا قليل علمه بالخيل فيل

وانشدنا الاصمعي

يفرون والفيل الجبان كانه اذب خصي نفرته القعاقع

قال سلمه بن عياش قال لي رؤبه ما كنت احد ان ارى في رايك فيالة وبالكوفة باب الفيل وبواسط باب الفيل ومنهم فيلويه وهو ابي حاتم بن فيلويه وكان ابو مسلم ربا ابا حاتم حتى اكتهل وهما سقيا ابا مسلم السم حتى عولج بالترياق فافاق فقتلها ابو مسلم بعد ذلك وكانا على شبيه بدين الخرمية ويقولون عنبسة الفيل وهو النحوي وهو احد قدماء النحويين الحذاق وهو عنبسة بن معدان وكان معدان يروض فيلا لزياد فلما انشد عنبسة بن معدان هجاء جرير للفرزدق قال الفرزدق

لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي على القصايدا

فلما تناشد الناس بعد ذلك هذا الشعر قال عنبسة انما قال الفرزدق

لقد كان في معدان واللوم زاجر

فقالوا ان شيا فررت منه الى اللوم لناهيك به قبحا فعند ذلك سمي عنبسة الفيل وغيلان الراجز كان يقال له غيلان

راكب الفيل كان الحجاج بن يوسف ربما حمله على الفيل وسعدويه
الطنبوري وكان يقال له سعدويه عين الفيل
قال ابو عبيدة حدثني يونس قال لما اتى فيل مولى زياد
داره وحمامه بالسابجة عمل طعاما لاصحاب زياد ودعاهم
الى داره وادخلهم حمامه فلما خرجوا منه غداهم ثم ركب وعبر
في وجوههم فقال ابو الاسود الدؤلي

لعمر ابيك ما حمام كسرى على الثلثين من حمام فيل

وقال الجارود بن ابي سبرة

وما ارقاصنا خلف الموالي كسنتنا على عهد الرسول

وانشد الاصمعي وغيره

جلا فا علينا من فيالة رايه كما قيل قبل اليوم خالف تذكر

ويقال للرجل اذا عنف عند الراي يراه لم تفيل رايك
وقد قال راى فلان وحدثنا عبد الله بن بكر عن حميد عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى السدرة اذا ورقها
امثال آذان الفيلة واذا ثمرها امثال القلال فلما غشيها من امر الله
ما غشيها تحولت ياقوتا وقال صاحب الكيمياء
في جبر بن يزيد

مهلا ابا العباس وقارا لا تكن خصيم المعشر الحون
هيهات هيهات لما رمته او يولد الفيل من النون

انت اذا ما عد اهل الحجى والحلم كالاحنف في سين

وكل طاير يخرج من البيض وكل ولد يخرج من البيض وان لم يكن
طايرا فانما يسمى فرخا كفرخ الحمام والورغة والعظاءة والرق
والسلحفاة والحلكاء وبنات النقا وشحمة الارض والضب في لحم دون
والورل والحرباء الا ما يخرج من بيض الدجاج فانه يقال له فروج
ولا يقال له فرخ الا ان الشعراء يتوسعون في ذلك قال
شماخ بن ابي شداد

هيهات هيهات لما رمته او يولد الفيل من النون
الا من مبلغ خاقان عنا تامل حين يضرب البناء
اتجعل في عيالك من صغير ومن شيخ اضر به الفناء
فراخ دجاجة يتبعن ديكا يلذن به اذا حمس الوغاء

وقال الآخر

احب الينا من فراخ دجاجة صغار ومن ديك تنوش غبا غبه

واذا سمى اهل البصرة انسانا بمغيل فارادوا تصغيره قالوا فيلويه كما
يجعلون عمرا عمرويه ومحمدا حمدويه وكان
محمد بن ابرهيم الرافقي الفارس النجيد قتيل نصر بن شبث مولى بني
نصر بن معوية له كنيتان ابو الفيل وابو جعفر ولم يكن بالجزيرة
افرس من داود بن عيسى وابي الفيل وعيسى بن منصور من ساكني
الرافقة وقال بعض المحدثين

في الفرخ والفروج

يا لحية طالت على نوكها كأنها لحية جبريل
لو كان ما ينصب من مائها نهرًا إذا طمّ على النيل
أو كان ما يقطر من دهنها كيلًا لوفّى ألف قنديل
فلو تراها وهي قد سرّحت حسبتها بندًا على فيل

وأنشد أبو عمرو الشيباني لبعض المولدين

إذا تلاقى الفيول وازدحمت فكيف حال البعوض في الوسط

وأنشد علي بن محمد

ما الفيل أحمله موقرًا رصاصًا بأثقل من معبد
ولا قبلي عليه الغبيط ينوء بعدلين من إثمد
وجاموسة أوقرت زيبقًا بأثقل منه ولا أنكد

وقال الآخر

باب يرى ليس له داخل الأجر أجمع في زاويه
إن جئت فالفيل على هامتي ومثله نيط بأوصاليه

ووصف مرة بن محكان قدرًا فقال

ترى الصلاة بنيل غير طائشة وفقًا إذا أنست من تحتها لهبا
زيافة مثل جوف الفيل مجفرة لو يقذف الرأل في حيزومها ذهبا

وقال بعض الأكرياء في امرأة كان حملها

بيضاء من رفقة عمران الأصم لا ثعل في سنها ولا قصم
بهكنة لو تركب الفيل رزم كأنها يوم توافي بالحرم

غمامة غراء عن غب رهم

وقال رؤبة بن العجاج

إن الرداني والكبري الأرقبا يكفيك درء الفيل حتى يركبا

ثم قال

ليشقى في الغيران حتى أحسبا سيدًا مغيرًا أو ليا جا مغربا

قال صفوان بن صفوان الأنصاري وكان عند داود بن يزيد بالمولتان الهند تؤدب الفيلة بأشكال من التأديب وبضروب من التقويم فمنها أدب الحروب حتى ربما ربطوا السيف الهذام الرغيب الشديد المتن الحديد الغرب التام الطول الطويل السيلان في طرف خرطوم الفيل وعلموه كيف يضرب به قدمًا يمينًا وشمالًا وكيف يرفعه بخرطومه حتى يكون فوق رؤوس الفيالين القعود على ظهره قال وأنشدني هرون بن فلان مولى الأنصار قصيدته التي ذكر فيها خروجه في الحرب إلى فيل في هذه الصفة فمشى إليه فلما كان حيث يناله السيف وثب وثبة أعجله بها عن الضربة ولزق بصدر الفيل وتعلق بأطول نابيه وهما عندهم قرناه فجال به الفيل جولة كاد يحطمه من شدة ما جال به وكان رجلًا شديد الخلق رابط الجأش قال فاعتمدت وأنا في تلك الحال وأصول الأنياب جوف فانقلعا من أصلهما وأدبر الفيل وصار القرنان في يدي وكانت الهزيمة وغنم المسلمون

غريبة في حرب الفيل

غنائم كثيرة وقلت في ذلك

مشيت اليه وادعا متمهلا • وقد وصلوا اخرطومه بحسام
فقلت لنفسي انه الفيل ضارب • بابيض من ماء الحديد هذام
فان تنكلي عنه فعذرك واضح • لدى كل منخوب الفؤاد عبام
وعند شجاع القوم اكلف فاحم • كظلمة ليل خللت بقتام
ولما رايت السيف في راس هضبة • كلاح برق من خلال غمام
تعابسه حتى لزقت بصدره • فلما هوى لازمت اي لزام
وعدت بقرنيه اريد لبانة • وذلك من عادات كل محام
فجال وهجيراه صوت مخضرم • وابت بقرني يذبل وشمام

وقال هرون

ولما اتاني انهم يعقدونه • بقائم سيف فاضل الطول والعرض
بهرت ولم احفل بذلك منهم • اذا كان انف الفيل في عفر الارض
وحين رايت السيف يهتز قائما • وتلمع لمع الصبح بالبلد المقضي
وصار لمخراق بكف حزوز • يصرفه في الرفع طورا وفي الخفض
واقبل يفري كل شيء سماله • وصرت كاني فوق مزلقة دحض
واهوى لجادي فاغتنمت ذهوله • فلذ بقرنيه اخو ثقة محض
فجال وجال القرن في كف ماجد • كثير مراس الكف ممتنع عض
فصاح وولى هاربا لا يهيده • رطانة هندي برفع ولا خفض

وتزعم ان نابي الفيل انما هما قرناه يخرجان مستبطنين حتى يخرقا

زعم ان صعود الفيل

الحنك ويخرجا العقفين وانما يجعلهما نابين من لا يعرف الامور قالوا
والدليل على ذلك انهما اصلهما في موضع مخارج القرون يوجد ذلك
عند سلخ جلده ولان القرن لا يكون الا مصمت الاعلى مجوف الاسفل
وكذلك صفة هذا الذي يسميه من لا علم له نابا ومع ذلك انا لا نجد
الفيل يعض به كعض الاسد للاكل ولا كعض الجمل الصوول
للقتل ولا كعض الافعى لافراغ السم ولا نراه يضرب به ويستعمله
الا على شبيه بما تستعمله ذوات القرون عند القتال والغضب
فقال لهم بعض من يرد عليهم اما قولكم ان القرن
لا يكون الا مجوف الاصل فهذا قرن الايل مصمت من اوله الى اخره
وهو ينصل في كل سنة واذا نبت حديثا لم يظهر حتى يستحكم
في يبسه وصلابته فاذا علم انه قد بلغ ذلك ظهر والكثر القرون
الجوف يكون في اجوافها قرون وليس ذلك لقرن الفيل قالوا ولم نجد
هذا القرن في لون القرون ووجدناه بسائر اسنانه واضراسه
اشبه للبياض والبيس وليس كذلك صفة القرون وتقول
الهند فم الفيل صغير وهو افقم ولا يجوز ان يكون مثل ذلك اللحي
والفك ينبت منه وفيه نابان يكون فيهما ثلمايه منا وقد راينا قرونا
كثيرة بيضا وبرشا وصهبا وهذه ايضا من اعاجيب الفيل
وقرن الكركدن اغلظ من مقدار ذراع في ذراع وليس طوله
على قدر غلظه وهو اصلب واكرم من قرني الفيل ويقال

اقرأوا عاهدا باب الخبر ايضا قرنه ١٣

ان اكبر ايور الحيوان اير الفيل واصغرها قضيب الظبي وقضيب الظ لا يذكر
مع هذه الاشكال وليس شي على قدره وفي مقدار جسمه اعظم
ايرا من البغل وقد علمنا ان للضب ايرين وكذلك الحرذون
والسقنقور وعرفنا مقدار ذلك ولكنه لا يدخل في هذا الباب
ولو لم يكن من عجايب الفيل الا خرطومه الذي هو انفه وهو يده وبه
يوصل الشراب والطعام الى جوفه وهو شي بين الغضروف واللحم
والعصب وبه يقاتل ويضرب ومنه يصيح وليس صياحه في مقدار
جرم بدنه ويضرب به الارض ويرفعه في السماء ويصرفه كيف شاء
وهو مقتل من مقاتله والهند تربط في طرفه سيفا شديد المتن فيقاتل
به مع ما في ذلك من الهول على من عاينه وهو يقصد نحوه وهو مع
عظم بدنه جيد السباحة الا انه يخرج خرطومه ويرفعه في الهواء
صعدا لانه انفه الا ترى ان الجاموس يغيب جميع بدنه في الماء
الا منخريه والبعير قبيح السباحة لانه يسبح على جنب وهو في ذلك
بطي ثقيل والبعير مما يخاير بينه وبين الفيل فلذلك ذكرناه
وقد علمنا ان الانسان يغرق في الماء ما لم يتعلم السباحة
فاما الفرس الاعسر والقرد فانهما يغرقان البتة والعقرب تقوم
وسط عمق الماء لا طافية ولا لازقة بالارض اشراف
السباع وساداتها وكبارها ورؤساؤها ثلثة الكركدن
والفيل والجاموس قال ولعل بعض من قد اعتاد الاعتراض على

الكتب ان يقول فاين الخيل والابل وفيهما من خصال الشرف والمنافع
والغناء في السفر والحضر وفي الحرب والسلم وفي الزينة والبهاء وفي العدة
والعتاد ما ليس عند الكركدن ولا عند الفيل ولا عند الجاموس قال
القوم ليس الى هذا الباب ذهبنا ولا اليه قصدنا ولا ذلك الباب مما
يجوز ان ندخله في هذا الباب ولكنا ذهبنا الى المحاماة والدفع عن
الانفس والقتال دون الاولاد والى الامتناع من الاضداد بالحيلة
اللطيفة وبالبطش الشديد وليس عند الخيل والابل اذا اضافت الاسد
والببور والنمور ما عند الجاموس والفيل فاما الكركدن
فان كل شي من الحيوان يقصر عن غايته التقصير الفاحش وما اكثر
من يتكبر ان يكون في الدنيا حيوان يسمى الكركدن ويزعمون ان هذا
وعنقاء مغرب سواء وان كانوا يرون صورة العنقاء مصورة
في بسط الملوك واسمها عندهم بالفارسية سيمرك كانه قال هو وحده
ثلثون طايرا لان قولهم سي بالفارسية ثلثون ومرغ هو الطاير بالعربية
والعرب اذا اخبرت عن هلاك شي وبطلانه قالت حلقت به في الجو
عنقاء مغرب وفي بعض الحديث ان بعض الامم سالوا نبيهم وقالوا
لن نومن لك حتى تفعل كذا وتفعل كذا وتلقي في فم العنقاء اللجام
وترد اليوم امس وقال ابو السري الشمطي وهو معدان المكفوف
المديري ❧ يا سمي النبي والصادق ابو عبيدة الضبي ذي الخلخال
صاحب التومة التي لم تشنها بعد خرس مثاقب اللال

مهّدته العنقاء وهي عقيم دبّت مهد يكون فوق الهلال
يوم تصغى له النعامة والخفاش طرًّا لشدة الزلزال

فأهل هذه النحلة يثبتون العنقاء ويزعمون أنها عقيم
وقال زرارة بن أعين مولى بني أسعد بن همام وهو رئيس
التيمية وذكر هذا الصبي الذي تكفّله العنقاء فقال

وأرامل يحيى نعاج وأكبش ولو شاء أحياه بما هو مذنب
ولكنه ساعي بأمر وحجة وقال سيلقى الشفيع المقرب
وآخرها مأمة قلب بيلكم والحاضنة العنقاء في العين أعجب
يصيف بساباط ويشتو بآمد وذلك سر لو علمناه معجب
أمامه الكبريت في البحر جامد وملكه الأبراج والشمس تحجب
فيومئذ قامت شمال بعزّها وقام عسيب القرشي يخطب
وقام صبي دردق في قماطه عليم بأصناف اللسانين معرب

فثبّت زرارة بن أعين قول أبي السري في العنقاء وزادنا الكبريت
الأحمر ولا أعلم في الأرض قوما يثبتون العنقاء على الحقيقة غيرهم
قال والذي يثبت الكركدن أن داود النبي صلى الله عليه
ذكره في الزبور حتى سماه وقد ذكره صاحب المنطق في كتاب
الحيوان إلا أنه سماه الحمار الهندي وجعل له قرنًا واحدًا في وسط
جبهته وكذلك أجمع عليه أهل الهند صغيرهم وكبيرهم فإنما صار الشك
يعرض في أمره من قبل أن الأنثى منها تكون نزورًا وأيام حملها لبثت

بأقل من أيام حمل الفيلة فلذلك قل عدد هذا الجنس
وتزعم الهند أنه إذا كان الكركدن ببلاد لم يرع شيء من الحيوان
شيئا من أكناف تلك البلاد حتى يكون بينه وبينه مائة فرسخ من جميع
جهات الأرض هيبة له وخضوعا وهربا منه وقد قالوا في ولدها وهو
في بطنها قولا لولا أنه ظاهر على ألسنة الهند لكان أكثر الناس بل
كثير من العلماء يدخلونه في باب الخرافة وذلك أنهم يزعمون أن أيام
حملها إذا كادت تتم وإذا نضجت وسخنت وحرّت ودنا وقت الولاد
فربما أخرج الولد رأسه من ظبيتها فأكل من أطراف الشجر فإذا شبع أدخل
رأسه حتى إذا تمت أيامه وضاق به مكانه وأنكرته الرحم وضعته
فتضعه قويا على الكسب والحضر ممتنعا من العدو بل لا يعرض له
مسان السباع وقد زعم صاحب المنطق أن ولد الفيل يخرج
من بطن أمه نابت الأسنان لطول لبثه في بطنها وهذا جائز في ولد
الفيل غير منكر لأن جماعة نساء معروفات الأبناء والآباء قد
ولدن أولادهن ولهم أسنان نابتة كالذي رووا في شأن
مالك بن أنس ومحمد بن عجلان وغيرهما وقد زعم
ناس من أهل البصرة أن خاقان بن عبد الله بن الأهتم استوفى
في بطن أمه ثلاثة عشر شهرا وقد مدح بذلك وهجي
وليس هذا بالمستنكر وإن كنت لم أر قابلة قط تقر بشيء من هذا
الباب وكذلك الأطباء وقد رووه كما قد علمت ولكن العجب

غريبة في ولد الكركدن

كل العجب فيما ذكروا من إخراج ولد الكركدن رأسه واعتلافه ثم
إدخاله رأسه بعد الشبع والبطنة ولا ندري رحمك الله لما أكل
من نجو كان يبقى ذلك الولد يأكل ولا يروث فهذا عجب
وإن كان يروث في جوفها فذلك أعجب وإنما جعلناه يروث
حين سموه جاذا وهذا مما ينبغي لنا أن نذكره في خصال الحمير
إذا بلغنا ذلك الباب.   فلست أقر بأن ولدا يخرج
رأسه من فرج أمه حتى يأكل شبعه ثم يدخل رأسه من فرج
أمه ولست أراه محالا ولا ممتنعا في القدرة ولا ممتنعا في
الطبيعة وأرى جوازه موهوما غير مستحيل إلا أن قلبي ليس
يقبله وليس في كونه ظلم ولا عبث ولا خطأ ولا تقصير في شيء من
الصفات ولم نجد القرآن ينكره ولا الإجماع يدفعه والله هو
القادر دون خلقه فلست أبت إنكاره وإن كان قلبي
شديد الميل إلى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا
يعرفونه إلا بالعيان الظاهر والخبر المتظاهر وليس الخبر عنه
الخبر عن الحية الدساس التي تلد ولا تبيض وإنما أنكر ذلك
ناس لأن الدساس ليس بأشهر من الخفاش بل هو من الممسوح كسائر
الطير وكاللواتي يبضن من ذوات الأربع من الكائنات في الأرضيات
وليس الخبر عن الكركدن أيضا كالخبر عن الدلافين أنها تلد وعن
اللخم مثل ذلك وأن الكوسج مولود من بين اللخم وسمكة أخرى

في حية الدساس

وهذا كله غير مستحيل إلا أني لا أجعل الشيء الجائز كونه كالشيء
الذي تثبته الأدلة وتخرجه البرهان من باب الإنكار والواجب
في مثل هذا الوقف وإن كان القلب إلى بعض ذلك أميل والميل
أيضا يكون في طبقات وكذلك الظن قد يكون داخلا في باب
الأغلب وربما قصر عن ذلك شيئا.   وقد زعم ناس
من أهل العلم أن السمك كله يلد وأنهم إنما سموا ذلك الحب بيضا
على التشبيه والتمثيل لأنه لا قشر هناك ولا مح ولا بياض ولا
سرة وأن السمكة لا تخرج أبدا إلا فارغة البطن أو محشوة ولم
نر الحب الذي يقرب صاحبها أعظم ولم نرها ألقت إحدى تلك الطوامير
وبقيت الأخرى وإنما غلط في ذلك ناس من قبل ضيق السبيل والمسلك
فظنوا أن خرق المبال يضيق عن عظم ذلك الجسم العظيم المجتمع
من الحب الصغار قالوا فإنما تخرج تلك الطوامير واحدا واحدا
وأولا فأولا وما ذلك بأعجب ولا من حياء الناقة والسقب
والحائل يخرجان منه خروجا سليما إذا أذن الله في ذلك وكذلك
المرأة وولدها والفيلة والجاموسة والرمكة والحجر والأتان
والناس في ذلك كله مثل السمكة بيضها وهذا مذهب ناس
من الناس والحجة على هؤلاء في الحضن إنا قد نجد أشكالا كثيرا
من ذوات البيض تحضن ولا تلتفت إلى بيضها وفراخها
والعوام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكركدن وتزعم أنه

في ولادة السمك

في الكركدن وقلة نفيره

بما نطح الفيل فرفعه بقرنه الواحد في وسط جبهته فلا يشعر
بمكانه ولا يحس به حتى يتقطع على الأيام. وهذا
من القول أشبه بالخرافة. وأعجب من القول في ولد
الكركدن ما يخبرنا به ناس من أهل النظر والأدب والطب
وقراءة الكتب وذلك أنهم يزعمون أن النمرة لا تضع ولدها
أبداً إلا وهو متطوق بأفعى وأنها تعيش وتنهش إلا أنها لا تقتل
ولو كنت أجيز في كتبي على تكذيب العلماء ودراسي الكتب لبدأت
بصاحب هذا الخبر وليس هذا عندي كزعمهم أن الأفعى تلد وتبيض
لأن تأويل ذلك أن الأفعى تتعضل ببيضها فإذا أطرقت بالبيض
تلوت فحضنته في جوفها ثم ترمي بتلك القشور والخراشي أولاً فأولاً
كما لا بد لكل ذي حمل أن تلقي مشيمتها ويزعم كثير من الأعراب
أن الكمأة تعفن فتخلق منها الأفاعي فهذا الخبر وإن كنت
لا أسترع إلى رده فإني على أصحابه ألين كنفاً. فأما قرن   قرن الكركدن
الكركدن فخبرني من رآه ممن أثق بعقله وأسكن إلى خبره
أن غلظ أصله وسعة جسمه يكون نحواً من شبرين وليس طوله
على قدر ثخنه وهو محدد الرأس شديد الملاسة ململوم الأجزاء
ومدمج في لدونة وعلوكة في صلابة لا يمتنع عليه شيء
ويجهز من عندنا بالبصرة إلى الصين لأنه يقع إلينا فإذا
قطعوه ظهرت في مقاطعه صور عجيبة وفيه خصال غير ذلك

لها يطلب وقد كنا نزعم أن الهواء للعقاب وأن الماء للتمساح وأن
الغياض للأسد حتى زعم أصحابنا أن في نيل مصر حيواناً تأكل التماسيح
أكلاً ذريعاً وتقوى عليها قوة ظاهرة وتغتصبها أنفسها فلا تمتنع
عليها وعارضوا من أنكر خيل الماء بخنازير الماء وبكلاب الماء
وبدخس الماء ولم أجدهم يشكون أن بعض الحيوان الذي يكون في
البحر مما ليس بسمك وهو يعايش السمك وقد ذهب عني اسمه أنه
متى أبصر غريقاً تعرض له وصار تحت صدره وبطنه فلا يزال   حيوان يقذف بالغريق
كالحامل له وكالمزجي والمعين له حتى يقذف به إلى جزيرة أو ساحل
أو جبل وأصناف سمك البحر وأجناس ما يعايش سمك البحر
لا تكون في أوساط اللجج وفي تلك الأهوار العظام مثل لجة
سقوطرا وهركند وصنجي وكذلك أهل البحر إذا عاينوا نباتاً
أو طيراً أيقنوا بقرب الأرض إلا أن ذلك القريب قد يسمى
بعيداً فلذلك يسلم ذلك الغريق بمعونة ذلك الحيوان.
فأما الأسد والببر فمتسالمان. وأما الأسد والنمر فمتعاديان
والظفر بينهما سجال والنمر وإن كان ينتصف من الأسد فإن
قوته على سائر الحيوان دون قوة الأسد وبدنه في ذلك أحمل
لوقع السلاح ولا يعرض لها الببر وقد اتفقا بأنهما ليسا من بابته فهو
لا يعرض لهما السلامة ناحيته وقلة شره وهما لا يعرضان له لما
يعرفان في أنفسهما من العجز عنه. وأما البهائم الثلث اللواتي

ذكرناها فانها فوق الاسد والنمر والببر والببر هندي
ايضا مثل الفيل وأما الكركدن فلا يقوم له سبع ولا بهيمة
ولا يطمع فيه ولا يروم ذلك منه وأما الجاموس والاسد
فخبرني محمد بن عبد الملك ان امير المومنين المعتصم بالله ابرز للاسد
جاموسين فغلباه ثم ابرز له جاموسة ومعها ولدها فغلبته وحمت
ولدها وحضنته ثم ابرز له جاموسا وحده فواثبه ثم ادبر عنه هذا
وفي طبع الاسد الجراة عليه لانه يعد الجاموس من طعامه والجاموس
يعرف نفسه بذلك فمع الاسد من الجراة عليه على حسب ذلك
ومع الجاموس من الخوف على قدر ذلك وفي معرفة الاسد ان له في
فمه من السلاح منه فمعه من الجراة عليه بمقدار ما مع الجاموس
من التهيب له ويعلم انه قد اعطي في كفه ومخالبه من السلاح ما ليس
لشي سواه ويعلم الاسد والجاموس جميعا انه ليس في فم الجاموس
ويده وظلفه من السلاح قليل ولا كثير فمع الاسد من الجراة عليه
ومع الجاموس من الخوف منه على حسب ذلك ويعلم الاسد ان
بدنه يموج في اهابه وان له من القوة على الوثوب والصبر والحضر
والطلب والهرب ما ليس مع الجاموس بل ليس ذلك عند الفهد في
وثوبه ولا عند السمع في سرعة مره ولا عند الارنب في صعداء
ولا هبوط ولا بلاغة نقزان الظبي اذا جمع جراميزه ولا ركض
الخيل العتاق اذا اجيد اضمارها والجاموس يعرف كل ذلك منه

ما ليس لشي سواه
وفي معرفة الجاموس
بعدم ذلك السلاح صح

ومن الاسد ومعه من النكوص عنه بقدر ما مع الاسد من الاقدام
عليه ويعلم انه ليس الا قرنه وان قرنه ليس في حدة قرون بقر
الوحش فضلا على حدة اطراف مخاليب الاسد وانيابه وان قرنه
مبتذل لا يصان عن شي ومخالب الاسد في كمام وصوان فاذا قوي
الجاموس مع هذه الاسباب المجنبة على الاسد مع تلك الاسباب
المشجعة حتى يقتله او يطرد عنه كان قد تقدمه تقدما فاحشا
وقد علاه علوا ظاهرا فلهذا قدمنا الجاموس وهو بهيمة وقدمنا
رؤسا البهائم على رؤسا السباع هذا سوى ما فيها من المرافق والمنافع
والمعاون والجاموس اجزع خلق الله من عض جرجسة وبعوضة
واشده هربا منها الى الماء وهو يمشي الى الاسد رخي البال رابط
الجاش ثابت الجنان فاما الفيل فلم يولد الناس عليه
وعلى الكركدن مما ولدوا من افراط القوة والنجدة والشهامة
الا ان الامر بينهما متقارب عندهم والهند اصحاب الببور والفيول
كما ان النوبة اصحاب النمور فان عدن غيرهم من الامم ولعل عامة
انما صار لباسهم جلود النمور لكثرة النمور بها الا انها على حال موجوده
في كثير من البلدان وقد ذكروا باجمعهم قوة الفيل الوحشي على
الاسد وقالوا في الفيلة الاهلية اذا التقت عندنا بالعراق الاسد
وجمعنا بينهما قالوا انما اوجدنا ان ذكورة الفيلة لا تكاد تعيش
عندكم وانيابها التي هي اكبر سلاحها لا تنبت في بلادكم ولا

في ضعف الفيل
الاهلي

تعظم ولا تزيد ولا على ما كانت عليه مما اقامت في ارضكم وهي ايضا
لا تتناتج عندكم وذلك من شدة مخالفة البلدة لطبايعها
ونقضها لقواها فانما اسرع اليها الموت عندكم للذي تعتريها من
الآفات والاعراض في دوركم فاجتمعت عليها خصال اول ذلك انها
مع الوحش وفي صميم بلادها اقوى واجرأ واشهم نفسا وانضى
فلما اصطدناها بالحيل وصيرناها مقصورة واهلية بعد ان كانت
وحشية وفي غير غذائها ومائها لانها كانت تكثر الشرب اذا احتاجت
وتاخذ من ذلك على مقادير ما تعرف من موقع الحاجة فلما صارت
الى قيام العبيد عليها والاجراء بشانها والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك
من النقص والخور والخطا والتقصير على حسب ما نجده في سائر الاشياء
ثم لم نرض بذلك حتى نقلناها من تلك البلدة على انكارها تلك البلدة
فصيرناها الى الضد بعد ان كانت في الخلاف وقد علمنا ان سبيلها
سبيل سائر الحيوان فان الابل تموت ببلاد الروم وتهلك في اسراحها
والعقارب تموت في مدينة حمص والتماسيح تموت ان نقلت الى دجلة
والفرات والناس يصيبهم الجلاء فيموتون ويتهافتون وقد علمنا
ان الزنج اذا اخرجوا من بلادهم فما يحصل عندنا منهم بالبصرة الا
اليسير وكذلك لو نقلوا الينا بزر الفلفل والساج والصندل والعود
وجميع تلك الاصناف فما امتناع نبات العاج في بلادكم الا كامتناع
نبات الابنوس وان كان ينبت في حيوان والآخر في ارض فلا يفخرن

في [illegible] العاج ان [illegible] عند [illegible]

مفتخر بالاسد في هذه البلاد اذا قاوم الفيل والاسد هاهنا في بلاده
وفي الموضع الذي تتوفر اموره عليه لان اسد العراق هي الغاية
واقواها اسود السواد ثم سواد الكوفة ولان الفيل ايضا ترى عندكم
السنانير وقد جعل الله في طبع الفيل الهرب من السنور والوحشة
منه كان بعض شجعانكم يمشي الى الاسد ويقبض على الثعبان
ولا يستطيع النظر الى الفار والجرذان حتى يهرب منها كل الهرب
ويعتريه من النفضة واصفرار اللون ما لا يعتري المصبور على السيف
وهو يلاحظ بريقه عند قفاه ✽ وذكر علي بن محمد السمري
قال بينا عبد الله بن خازم السلمي عند عبيد الله بن زياد اذا
دخل على عبيد الله جرذ ابيض ليعجب منه فاقبل عبيد الله على
عبد الله فقال هل رايت يا ابا صالح اعجب من هذا الجرذ قط قال
واذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كانه فرخ واصفر حتى صار كانه
جرادة ذكر فقال عبيد الله ابو صالح يعصي الرحمن ويتهاون بالشيطان
ويقبض على الثعبان ويمشي الى الاسد ويلقى الرماح بوجهه وقد
اعتراه من جرذ ما ترون اشهد ان الله على كل شيء قدير ✽
قالوا فاذا عاين الفيل الاسد راى شبه السنور فيه فيظن انه سنور
عظيم فلا يبلغ منه مقدار تلك المناسبة وذلك الشبه ومقدار ذلك
الظن ما يبلغ رؤية السنور وليس هربه منه من جهة انه طعام له
وانه ان ساوره خافه على نفسه وان كان في المعنى يرجع الى انه طعام

حكاية في تشجع لصوا على الاسد ويجزع من جرذان

لصغار السباع وكبارها وهل قتل اسد قط فيلاً ومتى اكله وانّى مع ذلك
لزبّاد كله الركلة فاما ان يذهب عنه هاربًا في الارض واما
ان يحبله واية حجة على الفيل بان يرى شيئًا فينفر منه فالاسد
يشار اليه بشعلة من نار او يضرب له بالطست فيهرب منه فانما هذا
كنحو تفزّع الفرس من كل شيء يراه في الماء وهو عطشان فياباه
ويزعم ناس من اصحاب الخيل ان الفرس ليس يضرب بيديه في الماء الصافي
ليثوّره لان الماء الكدر احبّ اليه وما هو الا كالنور الذي يحب
الصافي ويختاره ولكنه اذا وقف على الماء الصافي رأى فيه ظله و
ظل غيره من الاشخاص فيفزعه ذلك فلمعرفته بان الماء الكدر
لا تتصور فيه الصور يضرب بيديه هذا قول هؤلاء
فاما قول صاحب المنطق وغيره ممن يدعي شان الحيوان
فانه يزعم ان الفرس بالماء الكدر اشد عجبًا منه بالصافي كما ان الابل
يعجبها الماء الا ان يكون غليظًا وذلك هو الماء النمير عندهم وانما
تصلح الابل على الماء الذي تصلح عليه النخل ويزعم بعض من اقام
ببلاد السودان ان الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة والنوبة
يشربون الماء الكدر ويأكلون السمك النيّ فاذا شدّوا على بطونهم
ضربًا من اضراس خيل الماء وجدوه صالحًا لبعض ما يعرض من ذلك
ويزعمون ان اعفاج هذا الفرس تبرئ من الصرع الذي يكون في الاهلّة
قال بعض من ينصر الاسد ان اسد الهند اضعف بل هي ضعيفة

ان يقتله وانام

فزع الفيل

نادرة في الفرس

جبنًا والفيل في بلادهم اقوى والوحشي منها احرار والمغتلم منها لا
يقوم له الا الكركدن وانه ليهجم عليه فيحجم عنه حتى تذهب
سكرة الغلمة فيرجع الى معرفة حال الكركدن فلا يطور طواره ولا
يحل بادًا في ارضه فاما الفيل فاذا كان غير هائج والاسد
في غير ايام هياجه ثم يكون الاسد عراقيًا ويكون سواديًا ويكون
من اجمة ابرنقيا فان الفيل لا يقوم له قال صاحب الفيل
الفيل لا يعاين اسد ابرنقيا حتى تنفخه البلده وتهدمه الوحشة
ويمرضه الغذاء ويفسده الماء وهو لا يصل الى ذلك المكان حتى يجمع
بينه وبين ذلك الاسد حتى يسمع تجاوب السنانير وتضاغيها وهو
اسمع من قراد فيغب ذلك في صدره وتتراد تلك الوحشة في نفسه
فمتى راى اسدًا فانه يزداد عنه الوحشة منه والبغض المجعول فيه
الى الصدود والذهاب عنه فيظن كثير من الناس ان ذهابه هرب
وان صدوده جبن وانما هو من الوحشة منه والكراهة لمنظرته
وربما اضطره الاسد بحرقه حتى ينقض حلمه ويغلب وقاره
فيخبطه خبطة لا يفلح بعدها قال صاحب الفرس
زعمتم ان الاسد في الارض كالعقاب في الهواء وان العقاب
في السماء كالتمساح في الماء وان تمساحًا واسدًا اعتلجا على شريعة
فقتل كل واحد منهما صاحبه كان التمساح ضرب الاسد بذنبه
في الشريعة وضغم الاسد راسه فماتا جميعًا قال فالفرس

الماء النيلي يقتل التماسيح ويقهرها ويأكلها ولا يساجلها الحرب
ولا يقع بينهما مغالبة ومجاذبة وتكون الأيام بينهما دولا فهذه
فضيلة ظاهرة على الأسد وشرف فرس الماء راجع الى شرف فرس الأرض
فان كان فرس الأرض لا يقوى على الأسد ولا على النمر ولا على الببر
فان ابن عمه وشكله في الجنس قد قوي على التمساح وهو رئيس سكان
الماء. قالوا اما واحدة فان التمساح ليس برئيس سكان
الماء الآن نزيل سكان بعض الأودية والخلجان والبحيرات
في بعض المياه العذبة والكوسج واللخم والدلفين والسرطان
وضروب من السباع مما يعايش السمك ليس التمساح من بابته وعلى ان
التمساح انما يأكله ذلك الفرس وهو في الماء وليس له في جوف
الماء كبير عمل الا ان يحتمل شيئا بذنبه ويجتحنه اليه ويدخله الماء
وربما خرج الى الأرض للسفاد ولحضن البيض فلا يكون على ظهر
الأرض شيء أذل منه وذله على ظهر الأرض شبيه بذل الأسد
في وسط الماء الغمر ولعمري ان لو عرض له هذا الفرس في الشرايع
فغلبه لقد كان ذلك من مفاخره فلذلك لم تذكر الخيل في باب
الغلبة والقتال والمساجلة والانتصاف من الأعداء والفرس
قد يقاتل الفرس في المروج اذا اراد ان يحمي الحجور كما يحمي العير
العانة ويقاتل دونها كل عير يريد مشاركته فيها وهذا شيء يعرض
لجميع الفحولة في زمن الهيج وقد يصاول الجمل الجمل فربما قتل احدهما

صاحبه ولكن هذه الفحولة لا تعرض لشيء من الحيوان في غير هذا
الباب. وان اراد الفرس اسدا فليس عنده من احراز نفسه
وقتل عدوه ما عند الجاموس فان فضله الجاموس بقرنيه فان
السلاح الذي في فم الفرس لو استعمله لكان سلاحا وحوافره لو استعملها
لكانت سلاحا ولو استقبل الأسد فرمحه وركله وعضه بفمه
كان ذلك مما يدفع عنه ويحمي لحمه وليس للجاموس في اظلافه ويديه
ورجليه وفي فمه سلاح فقد دلت الحال على ان مدار الأمر
انما هو في شجاعة القلب. وفي هذا القياس ان الصقر لم يواثب الكركي
لكان سلاحه دون شجاعة قلبه التي بها يقوى الضعيف وبخلافها
يضعف القوي وسأقرب ذلك عندك ببعض ما تعرفه لا تشك ان الهر
اقوى من الهرة في كل الحالات حتى اذا سفدها فحدث بينهما بغضاء
ومطالبة حدثت للهرة شجاعة وللهر ضعف فصارت الهرة في هذه
الحال اقوى منه وصار الهر اضعف ولولا انه يمعن في الهرب غاية
الامعان ثم لحقته لقطعته وهو مستخذ. ومثل ذلك ان الجرذ
يخصى ويرمى به في انابير التجار وفي الأقرحة والبيادر فلا يدع جرذا
ضخما قد غلب الهر وابن عرس الا قتله وان كان اعظم منه
واشد والخصي من كل شيء اضعف قوة من الفحل الا الجرذ فانه
اذا خصي احدث له الخصاء شجاعة وجرأة واحدثت له الشجاعة قوة
واحدث علم الجرذان بحال الخصاء لها جبنا فاحدث الجبن لها ضعفا

والرجل الشديد الأسر قد يفزع فتنحل قواه ويسترخي عصبه حتى
يضربه الصبي. والذئب القوي من ذئاب الخمر يكون معه الذئب
الضعيف من ذئاب البراري فيصيب القوي خدش يسير فحين
يشم ذلك الذئب الضعيف ريح الدم وثب عليه فيعتري القوي
من القوة حتى يأكله كيف شاء. والأسد الذي يعتريه
الضعف في الماء الغمر حتى يركب ظهره الصبي ثم يقبض على
أذنيه فيغطه كيف شاء وقد يفعل ذلك به غلمان السواد
وشاطئ الفرات إذا احتملت المدود الأسد لا تملك من أنفسها شيئا
وهو مع ذلك يشد على العسكر حتى يفرقه فرق النعر ويطويه طي
السجل ويباشر النمر عامة يومه لا يقتل أحدهما صاحبه وإن كان
الجمل الهائج باركا أتاه فضرب جنبه ليشق إليه عنقه كأنه يريد
عضه فيضرب بيساره إلى مشفره فيجذبه جذبة يفصل بها بين دايات
عنقه وإن ألفاه كأنما وثب وثبة فإذا هو في ذروة سنامه فعند
ذلك يصرفه كيف شاء ويتلعب به كيف أحب. ونحن لا
نشك أن للفرس تحت الفارس غناء في الحرب لا يشبهه غناء ولذلك
فضل في القسم وإنما ذلك بتصريف راكبه له وقتاله عليه فأما هو
نفسه فإنه إذا كان أوفر سلاحا من الجاموس وخام عن قرنه
واستسلم لعدوه فإنه من هاهنا لا يقدم على غيره. ولم يكن الله
ليجعل جميع أقسام الخير في شخص واحد ولكن لما أن كان الفرس

عليه يقاتل الغبياء وأتباع الأنبياء ملوك الكفار وأتباع ملوك
الكفار حتى يقمع الله الباطل ويظهر الحق. فلذلك قدمناه على جميع
البهائم والسباع وإنما نقدمه في الوجه الذي قدمه الله فيه.
واعترض على أصحاب فرس الله معترضون فقالوا الفرس لا يكون إلا
بهيمة والبهائم لا تصيد وتأكل صيدها وإنما طعام الفرس النبات
وليس اللحم لها بطعام. وقد قال النمر بن تولب

والخيل في إطعامها اللحم ضرة نطعمها اللحم إذا عز الشجر

في كلمته التي يقول فيها

والله من آياته هذا القمر

وقد يعلف في تلك الحالات اللحم اليابس وهبيس السمك فأما الهبيس
فلخيول أهل الأسياف خاصة. قيل لهؤلاء المعترضين على صاحب
الفرس قد يكون في الخلق المشترك وغير المشترك. فالمشترك مثل
الإنسان الذي يأكل الحيوان والنبات وهذا العصفور من الخلق المشترك
لأنه يأكل الحب ويصطاد النمل الطيار والأرضة فيأكلها ويأكل
اللحم والدجاج تأكل اللحم والديدان وتحسو الدم وتلقط الحب
والغراب لا يدع شيئا إلا أكله وما خرج من حد المشترك فهو كنحو
الذئب والضبع ونحو الشاهين والصقر فإن هذه وأشباهها
لا تعرف إلا اللحم والحمام وضروب من الطير لا تعرف إلا الحب والنبات
فالمشترك أجمع مما هو غير مشترك والسمكة تأكل الطين والنبات

وتأكل من الجيف التي تصير في الماء وتصاد بضروب من الحيوان تجعل
لها في الشصوص ثم ينصبون لكل ضرب من السمك بضرب من الطعم
والجري تأكل الجرذان وتصيدها وهو أكلها من السنانير
والحيات والكلاب السلوقية ويأكل الجري جميع جيف الموتى
والسمك يأكل السمك ويأكل من كل حب ونبات يسقط في الماء
فإن استفهم مستفهم أو اعترض معترض فقال وكيف تصيد الجري
الجرذان والجرذان أرضية بيوتية والجري مائي قيل له
يخبرنا جميع من يبيت في السفن وفي المشارع في فيض البصرة عندنا
أن جرذان الأنابير تخرج أرسالا بالليل إلى الماء كأنها بنات عرس
والجري قد كمن لها وهو فاتح فاه فإذا دنا الجرذ من الماء نعب
فيه التهمه ليس دون ذلك شيء بشجر فم واسع يدخل في مثله الضب
الهرم وإنما يضع خطمه على الشريعة وسنذكر
شيئا من الطرف والحكم والأشعار إذ كنا قد ذكرنا من الكلام
في الحيوان صدرا صالحا وأبوابا جامعة ثم نعود في ذكر الفيل إن
شاء الله والله الموفق قال الشاعر

ولكن أناس لا أحجار بأرضنا ... مع الغيث ما نلقى ومن هو غالب
وإن قصرت أسيافنا كان وصلها ... خطانا إلى أعدائنا فنضارب
ترى كل قوم ينظرون إليهم ... وتقصر عما يبلغون الذوائب

مثل قول الآخر

لكل أناس سلم يرتقى به ... وليس إلينا في السلاليم مطلع
ومنزلنا الأعلى حجاز لمن به ... وكل حجاز إن هبطناه بلقع
وينفر منا كل وحش وتنتمي ... إلى وحشنا وحش البلاد فتتبع

وقال حسان بن ثابت

وندمان صدق تقطر الخير كفه ... إذا راح فضفاض العشيات خضرما
وصلت به كفي وخالط شيمتي ... ولم أك عضا في الندامى ملوما
لنا حاضر فعم وباد كأنه ... شماريخ رضوى عزة وتكرما
ولدنا بني العنقاء وابني محرق ... فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقال أعرابي غزلي

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له ... ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب
ولم يعتذر عذر البريء ولم تزل ... به سكتة حتى يقال مريب

وقال أعرابي من هذيل

دعا إن ضمان الله يا أم مالك ... ولله أن يشقيك أغنى وأوسع
يذكرنيك الخير والشر والذي ... أخاف وأرجو والذي أتوقع

قطعة من أشعار الاتعاظ

قال الشاعر

عليك من أمرك ما تستطيع ... وما ليس يعنيك عنه فذره
وللصمت أجمل في حينه ... من القول في خطل أو هذر

وكم غايب كان يخشى الردى ❊ فعاد وأودى الذي في الحضر
وبينا الفتى معجب الناظرين ❊ مال الى عطفه فانقعر
وبعض الحوادث إن يبقه ❊ فإن الفنا شانه والكبر
وكم من اخي نجدة ساهر ❊ تعلقنا الدهر حتى عثر
وكم من اخي عثرة مقتر ❊ تأتى له الدهر حتى انجبر

وقال علقمة بن عبدة

وكل قوم وان عزوا وان كثروا ❊ عريقهم بأثافي الشر مرجوم
والحمد لا يشترى الا له ثمن ❊ مما يضن به الاقوام معلوم
والجهل منقصة شين لصاحبه ❊ والعلم آونة في الناس معدوم
وكل حصن وان طالت سلامته ❊ على دعايمه لا بد مهدوم
ومن تعرض للغربان يزجرها ❊ على سلامته لا بد مشؤوم
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمة ❊ انى توجه والمحروم محروم

وقال عدي بن زيد العبادي وهو احد من قد حمل على شعره الحمل الكثير ولاهل الحيرة بشعره عناية وقال ابو زيد النحوي لو تمنيت ان اقول الشعر ما قلت الا شعر عدي بن زيد

كفى زاجرا للمرء ايام عمره ❊ تروح له بالواعظات وتغتدي
فنفسك فاحفظها من الغي والردى ❊ متى تغوها تغو الذي بك يقتدي
فان كانت النعماء عندك لامرئ ❊ فمثلا بها فاجز المطالب او زد
عن المرء لا تسأل وابصر قرينه ❊ فان القرين بالمقارن مقتدي

ستدرك من ذي الجهل حقك كله ❊ بحلمك في رفق ولما تشدد
وظلم ذوي القربى اشد عداوة ❊ على المرء من وقع الحسام المهند
وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر ❊ اذا خطرت ايدي الرجال بمشهد

قال المهلب بن ابي صفرة عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الاحرار بمعروفه وقال عبد الله بن جعفر لرجل يوصيه عليك بصحبة من ان صحبته زانك وان تركته شانك ان سالته اعطاك وان تركته ابتداك ان راى منك سيئة سدها وان راى حسنة عدها ان وعدك لم يحرضك وان الجيت اليه لم يرفضك

وسال يزيد بن المهلب رجل من اصحابه حاجة وذكر له خلة فقال اوجه بها اليك ثم حمل اليه خمسين الف درهم ثم كتب اليه قد وجهت اليك بخمسين الف درهم لم اذكرها تمننا ثم دع ذكرها تجبرا ولم اقطع بها الك رجاء ولم اردها منك جزاء فقيل ليزيد ما احسن ما مدحت به قال قول زياد الاعجم

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة ❊ اذا غير السلطان كل خليل

شبيه بقول الآخر

فتى زاده عز المهابة ذلة ❊ وكل عزيز عنده متواضع

وقال الآخر وهو يدخل في باب الشكر

شوقي اليك يا ابا العباس ❊ كثر ما البيتين تعاسي
اني لمعروفك غير ناس ❊ والشكر قد عاني خيار الناس

أبيات لبعض الشعراء العميان

أنشدني ابن الأعرابي لرجل من بني قريع يرثي عينه ويذكر طبيبا

لقد طفت شرقي البلاد وغربها فأعيا على الطب المتطبب

يقولون أصمعي نقاب عين وما أصير عين بعد نقب بمنقب

يقولون ما طبيب خان عينه وما عين خان عينا بطبيب

ولكنه أيام أنظر طيب بعيني قطامي علا فوق مرقب

أحم حديد الطرف ما خان عينه شآبيب ماء المزنة المتصبب

كأن أبو عجل يد فض جناحه على ماء إنسانيهما ماء طحلب

وقال الخريمي

كفى حزنا أن لا أزور أحبتي من القرب إلا بالتكلف والجهد

وأني إذا حييت ألجيت وأبدي ليبعثني قبل الإجابة في الرد

إذا ما أفاضوا في الحديث تقاصرت بي النفس حتى ما أجير وما أبدي

كأني غريب بينهم لست منهم وإن لم يحولوا عن وفاء ولا عهد

ألا أي خطوب لا يقوم بثقلها من الناس إلا كل ذي مرة جلد

باب في الحاجة

قال ابن الأعرابي قيل للأحنف أتيناك في حاجة فلا تردنا ولا تنكنا فقال ليس مثلي يؤتى في حاجة لا ترزأ ولا تنكأ وقال أعرابي لبعض إني لم أصن وجهي عن الطلب إليك فصن وجهك عن ردي وأنزلني من كرمك بحيث وضعني من رجائك

وقال أبو عقيل بن درست لم يقض ذمام التأميل ولم يقم بحرمة الرجاء إلا من أعطاها حقها ووفاها حظها وعرف قدرها وكيف يستبقي النعمة فيها وكيف الشكر على أداء حقها بالبشر عند المسألة وقلة التضجر عند المعاودة وتوكيد الضمان عند العدة وانتهاز الفرصة عند القدرة ويكون النجح المعجل أحب إليه من عذر الصديق وحتى يرى أن حقك عليه في بذل وجهك إليه أكثر من حقه عليك في تحقيق أملك فيه ثم إيجاب شكرها فإن كان شكرها هو المخبر عنها والدال عليها والزائد في قدرها والمتولي لنشرها

وقال الشاعر

فإن إحياءها إماتتها وإن منا بها يكدرها

باب في الوعد والوفاء به والخلف

قال عمرو بن الحرث كنت متى شئت أن أجد صفة من يعد ويجز وجدته فقد أعياني من يعد ولا ينجز وقال أبو إسحق النظام كنا نلهو بالأماني ونطيب أنفسنا بالمواعيد فذهب من يعد وقطعتنا الهموم عن فضول الأماني وقال الشاعر

قد بلوناك بحمد الله إن أغنى البلاء

فإذا جل مواعيدك والجحد سواء

وقال أعرابي وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم

مطل وتعليل وذم أعرابي رجلاً فقال إذا وعد صدق وإذا وعد كذب ويغضب قبل أن يشتم ويحكم قبل أن يعلم

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

أخترت عبد العزيز من تعبا والله للمرء خير من قسما
من البهاليل من أمية يزداد إذا ما مدحته كرما
جاءت به حرة مهذبة كانت بيتها دعما
من العرانين من قضاعة أمثال بنيهن تمنع الذمما
نكته خرقة الدفس من الشمس كليث يفرج الأجما
يقوت شبلين في مغارهما قد ناهزا للفطام أو فطما
لم يأت يوم الكره عندهما لحم رجال أو يولغان دما
فذاك أشبهته ابن ليلى ولكن ابن ليلى يفوقه شيما
من بهجة البخت والولايد كالغزلان والخيل تعلك اللجما
يمكنه إن لا المنكره من فيه الانجال فانعما

وقال زيادة بن زيد

إذا الحرجة شد عليك فروجها فأنت ملاق لا محالة مذهبا
فلم يجعل الله الأمور إذا اعتدت عليك رتاجا لا يرام مضببا
كفاك الفتى يوما إذا ما تقلبت به صبر فيات الأمور تقلبا
وإني لمزور قليل تقلبي لوجه امرئ يوما إذا ما تجنبا
قليل لنبع الشر ويك تعرضي فإن حل يوما قلت للشر مرحبا

ملكا ولم نملك وقدنا ولم نقد وكان لنا حقا على الناس ترتبا

وقال هدبة العذري

فأودى الخير فقد فاتني الصبى وصيح بريعان الشباب فنفرا
أمور وألوان وحال تقلبت بنا وزمان عرفه قد تنكرا
أصبنا بما لو أن سلمى أصابه لسهل من أركانه ما توعرا
فإن تنج من أهوال ما خاف قومنا علينا فإن الله ما شاء يسرا
وإن غالنا دهر فقد غال قبلنا ملوك بني نصر وكسرى وقيصرا
وذي يثرب قد غالني لينالني فأعيا مداه عن مداي فقصرا
فإن يك دهر نالني فأصابني بريب فما تشوى الحوادث معشرا
فلست إذا الضراء نابت بجبأ ولا جزع إن كان دهر تغيرا

وكان هدبة من شياطين عذرة وهذا شعره كما ترى وقد أمر بضرب عنقه وشد خناقه وقليل ما ترى مثل هذا الشعر عند مثل هذه الحال وإن امرأ مجتمع القلب صحيح الفكر كثير الريق عضب اللسان في مثل هذه الحال لناهيك به مطلقا غير موثق وادعا غير خائف ونعوذ بالله من امتحان الأخيار وهو القائل في تلك الحال

فلا تعذليني لا أرى الدهر معتبا إذا ما مضى يوم ولا اللوم مرجعا
ولكن أرى أن الفتى عرضة الردى وملاقي المنايا مصعدا ومفرعا
وإن التقى خير المتاع وإنما نصيب الفتى من ماله ما تمتعا
فلا تنكحي إن فرق الدهر بيننا أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

ضربنا بالمحيّة على عظم زوره • إذا القوم هشّوا للفعال تقنّعا
وأخرى إذا ما زار عيتك نائر • فيا لك يوماً كان كالدهر أجمعا
سأذكر من نفسي خلائق جمّة • ومجداً قديماً طال ما قد ترفّعا
فلم أر مثلي كاوياً بالدواية • ولا قاطعاً عرقاً سنوناً واصدعا
وما كنت ممن أرّث الشرّ بينهم • ولا حين جدّ الشرّ ممن تخشّعا
ولكن أرى ذا الضغن ممّن يكيدني • إذا ما رأني فاتر الطرف أخشعا

وما قرأت في الشعر كشعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثي وطرفة بن العبد وهدبة هذا فإن شعرهم في الخوف لا يقصر عن شعرهم في الأمن وهذا قليل جداً

من أشعار الأعراب

أنشدني ابن الأعرابي في معنى قوله

كمخض الماء ليس له أتاء

وما كان مثلي يعتريك رجاؤه • ولكن أساءت همّة من فتى محض
وإني وإشرافي إليك بهمّتي • لكالمرتجي زبداً من الماء بالمخض

وقال الآخر في مثل قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

فلولا اتقاء الله قلت مقالة • تسير مع الركبان إبرادها يغلي
أبن لي فكن مثلي أو ابتغ صاحباً • كمثلك إني مبتغ صاحباً مثلي
ولا يلبث الأصحاب أن يتفرقوا • إذا لم يؤلّف روح شكل إلى شكل

فقال ـــــ

لكل امرئ شكل يقرّ بعينه • وقرّة عين الفسل أن تتبع الفسلا
وتعرف في جود امرئ جود خاله • ويبذل أن تلقى أخا أمّه نذلا

وفي غير هذا الباب يقول الحر نفس اللص

أبلغ بني ثعل عني مغلغلة • فقد أتى لك من نأي بإنضاح
أمّا النهار ففي قيد وسلسلة • والليل في جوف منحوت من الساج

وقال بعض اللصوص

أقيد وحبس واغتراب وفرقة • وهجر حبيب إن ذا لعظيم
وإن امرأً دامت مواثيق ودّه • على عشر ما بي إنه لكريم

ومن المراثي المستحسنة قول حارثة بن بدر الغداني يرثي زياد ابن أبيه

أبا المغيرة والدنيا مغيّرة • وإنّ من غرّت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة • وكان عندك للنكراء تنكير
وكنت تؤتى فتؤتي الخير من سعة • إذ كان قبرك أمسى وهو مهجور
صلى الإله على قبر بمحنية • دون الثوية يسفي فوقه المور

وأنشد ابن الأعرابي

وما حسب الأقوام إلا فعالهم • ورب حسيب الأصل غير حسيب

وقال الآخر في مثله

ليس الكريم بمن يدنّس عرضه • ويرى مروءته تكون بمن مضى
حتى يشيّد بناءهم ببنائه • ويزين صالح ما أتوه بما أتى

وقال عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر

لسنا وإن كرمت أوائلنا يوماً على الأحساب نتّكل
نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال عمر بن الخطاب كفى بالمرء عيباً أن تكون فيه خلة من ثلث أن يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يعيب شيئاً ثم يأتي مثله أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه ووصف أعرابي رجلاً فقال آخذ الناس بما به أمر وأتركهم لما عنه زجر

من هجا امرأته

قدم أعرابي فحلف بطلاق امرأتيه على شيء فحنث ثم هرب فقال

لو يعلم الغرماء منزلتيهما ما خوفوني بالطلاق العاجل
قد ملتا ومللت من وجهيهما عجفاء مرضعة وأخرى حامل

وقال الأقرع بن معاذ القشيري

لعمرك إن المس من أم خالد إلي وإن صاحبتها لبغيض
إذا افترشنا ثوبها فكأنما على الثوب نمل عارم وبعوض

وقال أعرابي يا لله لامرأته وما الأعراب وهذا المذهب ولكن كذا وقع والله أعلم بكثير من الرواية

لولا مخافة ربي أن يعاقبني وأنها عدة تقضى وأوتار
لقد جعلت مكان الطوق فاشطب وغبت بعد فإن الله غفار

وقال بعض المولدين

تجهزي للطلاق وانصرفي ذاك جزاء الجوامح الشمس

لليلتي حين تطالقه الذ عندي من ليلة العرس

وأنشدني ابن الأعرابي لأعرابي

قد قرنوني بعجوز جحمرش ناتية الناب كروم قنفرش
كأنما دلالها على الفرش من آخر الليل كلاب تهترش
وجلدها من كثرة القمل برش كأنما بطنها طي كرش
وقعدة في حضن الضجيع تهتمش تخشخش الضب دنا للمحترش

وقال رجل من بني نمير لامرأته وكانت حضرية

لعمري لأعرابية بدوية تظل بروقي بيتها الريح تخفق
أحب إلينا من ضنال ضعنة إذا رفعت عنها المراوح تعرق
كبطيخة البستان ظاهر جلدها صحيح ويبدو داؤها حين تفتق

وأنشد محمد بن بشير في امرأته أو في غيرها

أنبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول
أسنانها مائة أو زدن واحدة كأنها حين يبدو وجهها الغول

وإنما أكتب لك من كل باب طرفاً لأن خروجك من باب الحساب أنقى لنشاطك ولو كتبته بكماله لكان أكمل وأنبل ولكن أخاف التطويل وأنت جدير أن تعرف بالجملة التفصيل وبالآخر الأول

من هجته زوجته

قالت عصيمة الحنظلية

كان الدارجين تكون فيها علينا حفرة ملئت دخانا

فليتك في سفين بني عباد فتصبح لا تزال ولا ترانا
فلو ان البدور قبلن يوما الفدا اعطيتها بايه مجانا

وقالت امراه من بني ضبيط زوجها

تراه اهوج ملعون الخليقة يمشي على مثل معوج العراجين
وما دعوت عليه قط العنه الا واخر يتلوه بامين
فليته كان ارض الروم منزله واننى قبله صيرت بالصين

منحتكم المودة من فؤادي وما لي من مودتكم نصيب

وقال ابن مقبل

وكم من عدو قد شققنا قميصه باسمر عسال اذا اهتز عامله

وقال ابن مقبل

كان دباه اشد الحزام بها في جوف اهوج في التقريب والحضر
يكاد ينشق عنه مسك حاركه نبت الجبار وثبت الوعثة الغدر

وانشدوا

ولم اصطبح صهباء صافية القذى باكدر من ماء اللهابة والعجب
ولم اسر في قوم كرام اعزة غطارفة شم العرانين من كلب

اللهابة والعجب ماآن من مياه كلب موصوفة بالعذوبة وهي في ذلك كدرة . وانشد ابن مردع لعدي بن غطيف الكلبي وكان جاهليا

اهلكنا الليل والنهار معا والدهر يغدوا على الفتى جذعا
والشمس في راس فلكة نصبت رفعها في السماء من رفعا
امر بلبط السماء مكتتم والناس في الارض فرقوا شيعا
كما سطا بالارام عاد وبالحجر وارى للتبع تبعا
فليس فيما اصابني عجب ان كنت شيئا انكرت فصلعا

قال هو عاد بن عوص بن ارم وسطا بالحجر اي باهل الحجر وارى اي اخر والازكاء التاخير

وقال كعب بن زهير

نعم مقلدها عبل مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
حرف اخوها ابوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليل

وكما قال ذو الرمة

اخوها ابوها والضوى لا يضيرها

وقال سالم بن دارة

حدوت بهم حتى كان رقابهم من السير في الظلماء خيطان خروع

وقال الاخر

وقد شربوا حتى كان رقابهم من اللين لم يخلق لهن عظام

وقال بعض المحدثين

كان هامهم والنوم واضعها على المناكب لم تعمد باعناق

وقال الكميت

وفي الذنابات اذا ما السنون الغى من بركها كلكل

بعلم يقول له المولفون هذا المقيم لنا المرجل

وفيها يقول

ولم يدع جارك في النايبات سليما يعلله الجلجل

وقال

الطيبوا اثواب المخابر والمنابت والمكاسر

والسابحون اللاحقون الارض هدّاب المآزر

انتم معادن للخلافة كابرا من بعد كابر

بالتسعة المتتابعين خلايفا وبخير عاشر

وقال

ولكن قوله الا للرايد اعشبت فانزل الى معشوشب العشب

ذهب الى قوله

مستاسدا ذنانه في غيطل يقلن للرايد اعشبت انزل

ولكن انظر كم بين البيتين وذهب في البيت الاول

الى قول الاعشى

اذا الحبرات تلوت بهم وجروا اسافل هدابها

قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه يقولون كونوا بلها

كالحمام لقد كان الرجل منهم يدعو الصاحبة فيقول اقل الله

بطنك قال وهذا يخالف قول عمر بن الخطاب حين قيل له فلان

لا يعرف الشر فقال ذاك اجدر ان يقع فيه

وقال النابغة

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب

وقال الآخر

ولا تعذراني في الاساءة انه شرار الرجال من يسيء فيعذر

وقالت امراة في عمير بن معبد بن زرارة

اعيني الا فابكي عمير بن معبد وكان ضروبا باليدين وباليد

يقول بالسيف وبالقداح والقداح يضرب باليدين جميعا

وقال ابن مقبل

وللفؤاد وجيب عند ابهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

وقال ابن احمر

وفؤاده زجل كعزف الهدهد

وكان حسان يقول للقايدة اذا شهد طعاما اطعام يدين ام

طعام يد طعام يدين الشواء وما اشبه ذلك

وطعام يد الثرايد وما اشبهها وقال بعض السلاطين

لغلام من غلمانه وبين يديه اسير واصحبت قال بيد او بيدين فجمع

يديه على مقبض سيفه وضرب عنقه ثم قال له اضرب

يعني اسيرا آخر فقال بيدين او بيد قال بيد فضربه بالسياط

فقال له اذهب فانت حر وزوجه واعطاه مالا

وساير رجلا من الملوك بعض السعاة بابن له ذكر انه موضع

كذا وكذا يشرب الخمر مع اصحاب له فبعث غلاماً له يتعرف
حاله في الشراب فلما رجع وجد عنده نشاطاً فكره التغيير فقال
له مهيم قال كان ثقله جبناً قال الآن حر لأن معاقري الخمر ينقلون
بالجبن لأسباب كثيرة • وكان فرج
الحجام مملوك جعفر بن سليمن اذا حجمه او اخذ من شعره لم يتكلم
ولم يتحرك ولم يأخذ في شيء من الفضول • فقال جعفر ذات يوم
والله لامتحننه فإن كان الذي هو فيه من عقل لأتينه وان كان
كالطبيعة والخلقة لأحمدن الله على ذلك • فقال له
يوماً ما اسمك يا غلام قال فرج • قال فما كنيتك قال لا اكتني بحضرة
الامير قال فهل تحتجم قال نعم قال ومتى قال عند هيجه • قال
وهل تعرف اوقات الهيج قال في اكثر ذلك • قال فأي شيء
تأكل على الحجامة • قال اما في الصيف فسكباجة محمضة عذبة
واما في الشتاء فديجيراجة حائرة حلوة • فأعتقه وزوجه
ووهب له مالاً • وكان قاطع الشهادة ولم يكن احد من مواليه
يطمع ان يشهده الا على شيء لا يختلف الفقهاء فيه • وهو الذي ذكره
ابو فرعون فقال •

• خلوا الطريق زوجتي امامي • انا حجيم فرج الحجام •

وكان اهل المربد يقولون لا نرى الانصاف الا في حانوت
فرج الحجام لانه كان لا يلتفت الى من اعطاه الكثير • دون من

اعطاه القليل • ويقدم الاول ثم الثاني ثم الثالث ابداً حتى يأتي
على آخرهم على ذلك يأتيه من يأتيه فكان المؤخر لا يغضب ولا
يشكو • وقال ابن مقروم الضبي •

• فدعوا نزال فكنت اول نازل • وعلام اركبه اذا لم انزل •
• ولقد افدت المال من جمع امرئ • وظلفت نفسي عن لئيم المأكل •
• ودخلت ابنية الملوك عليهم • ولشر قول المرء ما لم يفعل •
• وشهدت معركة الملوك وحولها • ابناء فارس بيضها كالاعبل •
• متسربلي حلق الحديد عليهم • حرب مقارفة عنيت مهمل •

تم الجزء السابع من كتاب الحيوان
بحمد الله ومنه وهو آخر
الكتاب •

